

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر ذي القعدة

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الحادي عشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر ذي القعدو الجزء الحادي عشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.ـ الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٥ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.ـ (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ٢٠٩٢٩ / ١٤٤٥
ردمك :٩-٨-٢١٨-٠-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الحادي عشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ . تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر ذي القعدة، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر ذي القعدة ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر ذو القعدة



غُرَّة ذي القعدة

إذا سألتَ فاسْألِ اللهَ

عن عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: كنتُ خلفَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي:" يَا غُلامُ؛ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" رواه الترمذي(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم:" إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله" هذا مُنتزَعٌ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢)، فإنَّ السؤالَ هو دعاؤه والرغبة إليه.

و"الدعاء هو العبادة" كذا رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير- رضي الله عنه-، وتلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣)، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩) برقم (٢٦٦٩). والترمذي في سننه (٤/ ٦٦٧) برقم (٢٥١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤،)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٢) الفاتحة: ٥.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٩٧) برقم (١٨٣٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٧٩) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في سننه (٥/ ٢١١) برقم (٢٩٦٩) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٤) برقم (١١٤٠٠) كتاب التفسير باب ومن سورة غافر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٨) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٤٦). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.



وروى الترمذي من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" الدعاء مُخُّ العبادة"[١]، فتضمَّن هذا الكلام أن يسأل اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا يُسألُ غيرُه.

وأمَّا السؤال فقد أمَرَ الله بمسألته، فقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[٢]، وفي الترمذي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- مرفوعًا:" سلوا الله من فضْله؛ فإنَّ الله يُحبُّ أن يُسأل"[٣]. وفيه أيضًا عن أبي هريرة- رضي الله عنه- مرفوعًا:" مَن لا يسألِ اللهَ يغضبْ عليه". وفي حديث آخر:" لِيسألْ أحدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها حتَّى يسأل شسع نعله إذا انقطع" رواه الترمذي[٤].

وقد بايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا: منهم أبو بكر الصِّدِّيق، وأبو ذر، وثوبان، وغيرهم- رضي الله عنهم جميعًا-، فكان أحدُهم يَسقطُ سوطه أو خطام ناقته؛ فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه[٥].

وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله؛ إنَّ بني فلان أغاروا عليَّ فذهبوا بابني وإبلي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ آل محمد كذا وكذا أهل بيت، ما لهم مُدٌّ من طعام أو صاع، فاسألِ اللهَ عزَّ وجلَّ، فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك؟ فأخبرها، فقالت: نِعمَ ما ردَّ عليك، فما لبثَ أن ردَّ الله عليه ابنه وإبله أوفرَ ما كانتْ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره، فصعد المنبر

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٤٥٦) برقم (٣٣٧١) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب منه. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٦٩٣).

(٢) النساء: ٣٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٦٥) برقم (٣٥٧١) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب في انتظار الفرج وغير ذلك. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٤٨١). ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٨٣) برقم (بدون) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٧٩). ضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، توزيع: المكتب الاسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٢١) برقم (١٠٤٣) كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



فحمد الله وأثنى عليه، وأمر الناس بمسألة الله عزَّ وجلَّ والرغبة إليه، وقرأ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾[١][٢].

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟[٣]

واعلم أخي المسلم؛ أنَّ سؤال الله تعالى دون خلْقه هو المتعيَّن، لأنَّ السؤالَ فيه إظهار الذلِّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقُدرة المسئول على دفع هذا الضرر، ونَيْل المطلوب، وجلْب المنافع، ودرءِ المضار، ولا يصلح الذلُّ والافتقار إلَّا لله وحده، لأنَّه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم كما صُنتَ وجهي عن السجود لغيرك؛ فصُنْهُ عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضرِّ وجلب النفع سواه. كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾[٤]، وقال أيضًا: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٥].

والله سبحانه يُحبُّ أن يُسأل ويُرغَب إليه في الحوائج، ويُلَحَّ في سؤاله ودعائه، ويغضب على مَن لا يسأله، ويستدعي مِن عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلْقه كلِّهم سُؤْلَهم من غير أن ينقص من مُلْكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كلِّه، يكره أن يُسأل، ويُحبُّ أن لا يُسأل؛ لعجزه وفقره وحاجته، ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك: ويحك، تأتي مَن يُغلقُ عنك بابَه، ويُظهِر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدعُ مَن يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار، ويُظهِر لك غناه، ويقول: ادعني أستجب لك؟![٦]

---

(١) الطلاق: ٢-٣.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص: ٣٣). الفرج بعد الشدة، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، خرجه وعلق عليه: أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، الناشر: دار الريان للتراث، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٢) برقم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٤) يونس: ١٠٧.

(٥) فاطر: ٢.

(٦) ينظر: الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٠٦). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



وقال طاوس لعطاء: إيَّاك أن تطلب حوائجك إلى مَن أغلق بابَه دونك، ويجعل دونها حجابَه، وعليك بمَن بابُه مفتوحٌ إلى يوم القيامة، أمَرَكَ أن تسألَه، ووعدك أن يُجيبَك[١].

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ"[٢].

حين تشتدُّ بك الخطوب، وتحيط بك الكروب، وتُظلِمُ أمام عينيك الدنيا فقل: يا ألله.

حين يضيق بك الأمر، وتستحكم عليك حلقاته، ولا تجد لك مخرجًا؛ فقل: يا ألله.

حين يتبدَّلُ الحال، ويقلُّ المال، وتكثُر النفقات، وتتراكم على رأسك الطلبات، ولا تجد معك ما تُؤدِّي به الحقوق والواجبات؛ فقل: يا ألله.

حين تتبدَّل الحقائق، وتنتكس الفِطَر، ويُهزَأ بالقيم، وتُحارَب الفضائل، وتُمتدَحُ الرذائلُ؛ فقل: يا ألله.

حين يُتطاوَل على القرآن، ويُستهزَأ بالنبيِّ العدنان صلى الله عليه وسلم، ولا تجد مَن يقف ليردَّ أو ينتصر لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقل: يا ألله.

حين يتكالب الناس على أهل العلم ويستهزءون ويستخفُّون بأهل الدين، فيُلجِؤونهم إلى ركن ضيِّق في مكان مُظلم، أو سجن مُغلَق؛ فقل: يا ألله.

حين يعلو الباطل وينتشر وينتفش، وينخفض الحقُّ ويستخزي وينكمش، حين يحدث ذلك فيضيق له صدرك، وتلتاع له نفسك؛ فقل: يا ألله.

واجأرْ إليه بالدعاء؛ فإنَّه لا مَخرجَ ولا مَلجأ إلَّا في الدعاء.

إذا الصَّدرُ ضَاقَ بآهَاتِهِ ... وطَالَ أسَى قلبِكَ المكْتَرِبْ
فنَاجِ الَّـــذي في مُنَاجــاتِهِ ... خَلاصُكَ، وَاسْجُدْ لَه وَاقْتَرِبْ[٣]

---

(١) ينظر: شعب الإيمان (٢/ ٣٦٠) برقم (١٠٦٣). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٦٣) برقم (٢٣٢٦) أبواب الزهد باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١١٨). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣) البيتان لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه – موسوعة الأدب العربي(adab.wiki) . https://www.alukah.net/sharia/٠/١٢٥٩٣٨/%D٩/%D٨A%٨A%D٧A-%٨A%٣D%٩D%٨٤%٩D%٨٤%٩D%٨٧/.



والخلاصة: أنَّ الله تعالى خزائنُه ملأى، وجاء في الحديث القدسي:" لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجنَّكم؛ قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألتَه؛ ما نقصَ ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقصُ المخيطُ إذا غُمِسَ في البحر" رواه مسلم[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

٢ ذي القعدة

صلاة الاستخارة ودعاؤها

حياة الإنسان مليئة بالخيارات التي تُحيِّره، فلا يجد وسيلةً للعون والمساعدة لانتقاء الخيار الأفضل سوى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال صلاة الاستخارة، باعتبارها سُنَّة نبويَّة ثابتة، أجمع الْعُلَمَاءُ على أَنَّ الاسْتِخَارَةَ سُنَّةٌ، يُثاب فاعلُها ولا يأثم تاركُها، ويُستحبُّ للمسلم القيام بها، لما أخرجه الإمام البُخَارِيُّ عَن جَابِر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ[١].

وحكمة مشروعيَّتها تسليم الأمر لله تعالى، واللجوء إليه سبحانه؛ للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، وتكون صلاة الاستخارة في الأمور التي لا يعلم العبد الصواب فيها، فيستخير الله سبحانه وتعالى؛ ليُيَسِّرَها له كالزواج أو السفر أو الإقدام على وظيفة، أو شراء منزل أو سيارة، وغير ذلك من الأمور، فيدعو الله تعالى، ويتضرَّع إليه، ويسأله أن يختار له الخير، والأفضل أن يجمع بين الاستخارة والاستشارة، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[٢].

وصلاة الاستخارة ركعتان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا همَّ أحدُكم بأمرٍ فليُصَلِّ ركعتين، ثم ليقل: اللهمَّ إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علَّام الغيوب، اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر- ويُسمِّيه باسمه- (يقول: هذا الأمر زواجي بفُلانة، أو سفري إلى محلِّ كذا، أو شراء كذا، أو ما أشبه ذلك، يُعيِّنُ حاجته) خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري؛ فيَسِّرْه لي، ثم بارِكْ لي فيه، وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر- ويُسمِّيه باسمه- شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري؛ فاصرفْه عني واصرفْني عنه، وقدِّرْ لي الخير حيث كان، ثمَّ رضِّني به" رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨١) برقم (٦٣٨٢) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨١) برقم (٦٣٨٢) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة.



يقول العلَّامة ابن باز– رحمه الله–: هذه السُّنَّة، هذا دعاء الاستخارة. وإذا كان لا يعرف هذا الدعاء يدعو بما تيسَّر، يقول: اللهمَّ قدِّر لي الخير، اللهم يسِّرْ لي الخير، اللهمَّ اشرح صدري لهذا السفر إن كان خيرًا، اللهم اشرح صدري لهذا الزواج إن كان خيرًا، يدعو بما يفهم وبما يعرف بعد السلام، يرفع يديه ويدعو بعد صلاة الركعتين(١).

وصلاة الاستخارة ليس لها وقتٌ مخصوص، فإنَّه يجوز للمسلم متى أهمَّهُ أمرٌ وأراد أن يطلب الخِيَرة من الله عزَّ وجلَّ لذلك الأمر أن يتوجَّه إليه بالصَّلاة ويسأله حاجته، إلَّا أنَّ ذلك الجواز محصورٌ بأوقات الاستحباب والإباحة، فلا تُشرَع صلاة الاستخارة في أوقات الكراهة، وهي ما بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشَّمس بقدر رُمح، وفترة توسُّط الشّمس في السَّماء قبل الزوال، وما بعد صلاة العصر إلى الغروب؛ أي عندما تميل الشمس للغروب، فإن ابتعد عن تلك الأوقات جاز له أن يُصلِّيها متى أراد.

كما أنَّ صلاة الاستخارة تكون في الأمور المباحة، أو الأمور المندوبة والواجبة؛ بشرط أن يحصل تعارض بين واجبين أو مندوبين، ويريد المستخير أن يختار أحدهما أو يبدأ بأحدهما قبل الآخر، أمَّا الأمور الواجبة والمستحبَّة فلا يُستخار لفعلهما، وكذلك الأمور المحرَّمة أو المكروهة فلا يُستخار لتركهما.

وعلى المسلم ألَّا يكتفي بأداء صلاة الاستخارة مرَّة واحدة، ولكن يجب عليه تكرارها عدَّة مرَّات، كما فعل عمر بن الخطاب– رضى الله عنه– عندما أراد أن يُدوِّن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ظلَّ يستخير الله تعالى شهرًا كاملًا(٢).

ويجوز للمُصلِّي قراءة ما يشاء من القرآن الكريم في صلاة الاستخارة، ويُستحبُّ له أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(٣)، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٤)، وناسَبَ الإتيان بهما في صلاة يُراد منها إخلاص الرغبة وصدْق التفويض وإظهار العجز أمام الله عزَّ وجلَّ.

واستحسن بعض العلماء أن يزيد في صلاة الاستخارة على القراءة بعد الفاتحة قولَه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١١/ ٦٤). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٢) ينظر: المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٤٠٧). المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

(٣) الكافرون: ١–٦.

(٤) الإخلاص: ١–٣.

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[(١)]؛ في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[(٢)].

وكيف يعرف المسلم نتيجة صلاة الاستخارة؟ إذا أقدم الإنسان على ما استخار فيه ربَّه، فوجده مُيَسَّرًا، ووجد أبوابه مفتوحة له؛ فإنَّ فيه الخير إن شاء الله، وإن كان غير ذلك، ورأى فيه عُسْرًا؛ فإنَّه ينصرف عنه. وليس من شرطها أن يرى بعدها رؤيا يُقال له فيها: افعل ولا تفعل، بل من علامتها التيسير.وصلاة الاستخارة تعني التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ، والاستعانة به، وتفويض كل الأمر إليه، واليقين بحُسن اختياره للعبد، والاستقسام بقدرته وعلمه، ولا يذوق حلاوة الإيمان إلَّا مَن رضي بالله ربًّا، ومن لوازمه الرضا والقناعة بما يختار، فذاك السعادة الحقيقية للمؤمن.

كما يتضمَّن دعاء الاستخارة معاني قيِّمة وسامية منها: إظهار عجز العبد وحاجته إلى الله القوي القادر، والإقرار بوجود الله عزَّ وجلَّ وبأسمائه وصفاته الكاملة المطلَقة، واللجوء إلى الله والاستعانة به والإقرار بربوبيَّته.

الخلاصة أنَّ السعادة الحقيقيَّة عندما يتوكَّل العبد على الله حقَّ التوكُّل في الأمر الذي يريد الاستخارة له، ثم يرضى بما اختاره الله تعالى له، أمَّا الشقاء فيكون إذا ترك العبد التوكُّل والاستخارة، وسخط بما قدَّره الله تعالى عليه.

روي الترمذي وأحمد عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عزَّ وجلَّ"[(٣)].

وختامًا؛ اعلمْ أنَّ الاستخارة تكون بعد الأخذ بالأسباب، ومن الأخذ بالأسباب الاستشارة. ولكن كما قال سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: الاستخارة تُقدَّم أوَّلًا، لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ...إلى آخره"، ثم إذا كرَّرَها ثلاث مرَّات ولم يتبيَّنْ لك الأمر؛ فاستشرْ، ثم ما أُشيرَ عليك به فخذْ به، وإنَّما قلنا: إنَّه يستخير ثلاث مرَّات؛ لأنَّه من عادة

---

(١) القصص: ٦٨-٦٩.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٥٤) برقم (١٤٤٤). والترمذي في سننه (٤/ ٤٥٥) برقم (٢١٥١) أبواب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ٣٧٧). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه إذا دعا دعا ثلاثًا، وقال بعض أهل العلم: إنَّه يُكرِّر الصلاة حتَّى يتبيَّنَ للإنسان خيرُ الأمرَيْنِ(١). وقال الشاعر الصاحب بن عياد:

إذا هَمَمْتَ بِأَمرٍ فَقَدِّمْ الِاسْتِخَارَه ‎ ‎ ‎ وَإِنْ عَزَمْتَ عَلَيهِ فَكَرِّرْ الِاسْتِشَارَه(٢)

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (٤/ ١٦٢). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٢) لم أقف عليه.

٣ ذي القعدة

ما يقوله مَن عليه دَين (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)

عَن عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنَّ مُكاتَبًا جاءَهُ فقالَ: إنِّي قد عَجزتُ عَن مكاتبتي فأعنِّي، قالَ: ألا أعلِّمُكَ كلِماتٍ علَّمَنيهنَّ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لو كانَ عَليكَ مثلُ جَبلِ صيرٍ دينًا أدَّاهُ اللَّهُ عَنكَ، قالَ: قُلْ:" اللَّهمَّ اكفني بِحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِني بِفَضلِكَ عَمَّن سواكَ" رواه الترمذي[1].

في هذا الحديث يأتي مُكاتَب، وهو شخص قد كاتب سيدَه على أن يشتري حُريَّته منه بمبلغ من المال مُقسَّطًا، فإذا أدَّاه صار حُرًّا، وسُمِّيتْ كتابة؛ لأنَّ العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق، ولكنَّ هذا العبد لم يجد مالًا لكي يُسدِّد سيده؛ فلجأ إلى عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين، يسأله أن يُساعده في قضاء دينه، فأرشده- رضي الله عنه- إلى العلاج الربَّانيِّ، وهو دعاءٌ علَّمه إيَّاه النبيُّ- صلى الله عليه وسلم، إذا قاله مُخلِصًا قضى الله عنه دينه ولو كان مثل الجبل، فقال له: قل:" اللهمَّ اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك". والمعنى: اجعل لي كفاية في الحلال، تُغنيني بها عن الحاجة للحرام، واجعل لي رزقًا من فضلك تُغنيني به عن سؤال الناس.

وفي هذا الحديث الكثير والكثير من الفوائد؛ منها:-

١- مشاورة وطلب رأي أهل العلم والدِّين.

٢- على أهل العلم والدعاة إلى الله تعالى دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يُعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات.

٣- الحثُّ على إعانة المكاتب.

٤- الدعاء بهذه الكلمات؛ لأنَّ بركتها تظهر في وفاء الدَّين، والاستغناء بالله عن الناس.

٥- الرزق الحلال وإن قلَّ خيرٌ من المال الحرام وإن كان كثيرًا.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٨) برقم (١٣١٩). والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٠) برقم (٣٥٦٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٣٢). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.



٦- الفضل كلُّه لله تعالى، فلا يُنسَب خيرٌ إلَّا له تعالى ولغيره تبعًا.

٧- ينبغي على العبد أن يستعين بالله تعالى وحده فيما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالى.

وهذا الدعاء المبارك مُجرَّبٌ وله الكثير من المواقف في حياة الكثيرين، تقول إحدى السيدات: كنتُ في آخر عام من المدرسة الثانوية، وحدثتْ لي ظروف شديدة، ورسبتُ هذا العام بسبب هذه الظروف، وهذا الأمر سبَّب لي العديد من المتاعب النفسيَّة؛ لأنِّي كنتُ أرغب في الحصول على درجات عالية للالتحاق بكلية الطب، وقرأتُ ذات مرَّة عن فضْل دعاء:" اللهمَّ اكفني بِحَلاَلِكَ عن حرامك..."، فاستخدمتُ هذا الدعاء يوميًّا، وأنا أتوسَّل إلى الله في تحقيق جميع أحلامي وطموحاتي، وأنَّ الله يُساعدني بأن ألتحق مُجدَّدًا لاستكمال عامي الدراسي، كانتْ أصعب الأيام التي مرَّتْ عليَّ، لكن بفضْل الله عزَّ وجلَّ وفضْل هذا الدعاء العظيم؛ التحقتُ بكلية الطِّبِّ بعد نجاحي في المدرسة الثانوية بأعلى مجموع، وحقَّق الله لي جميع أحلامي، فلله الحمد والمنَّة.

وتحكي سيدة أخرى فتقول: كنتُ أمرُّ بفترة ماديَّة صعبة، وكان أبنائي يشعرون بالحزن والضيق بسبب ذلك، وكنتُ كلَّما نظرتُ إليهم شعرتُ بالألم والحزن الشديد. لذلك كنتُ أقوم بالصلاة والاستغفار، وكنتُ أقوم عقب كل صلاة بقراءة دعاء:" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك"، وكنتُ أشعر براحة نفسيَّة كبيرة نتيجة ذلك، وعقب فترة كنتُ أقوم بترديد الدعاء بشكل كبير، وبفضْل الله تخلَّصتُ من أزمتي، وعاد أبنائي من جديد للضحك واللعب، وكنتُ كلَّما نظرتُ إليهم أقوم بحمد الله وشكره، ولا أزال أقوم بتكرار الدعاء، وكذلك كنتُ قد قمتُ بتحفيظ أبنائي:" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك"، وكنتُ أحرص على أن يقوم الأبناء بقراءته بشكل يومي، وبعد كل صلاة، والحمد لله ننعم الآن أنا وأبنائي بحياة سعيدة.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ لهذا الدعاء أثرًا كبيرًا في تفريج الكروب الماديَّة والمعنويَّة.

وهذا الدعاء يُعلِّمنا أنَّ الحلال ولو كان قليلًا يكفي صاحبه أكثر من الحرام وإن كان كثيرًا، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]، وأنَّ الاستغناء بالله أنفع من الاستغناء بالناس مهما كانوا، وقديمًا قيل: استغنِ عمَّن شئتَ تكن نظيرَه، وأحسِنْ إلى مَن شئتَ تكن أميرَه، واحتجْ إلى مَن شئتَ تكن أسيرَه[2].

---

(١) المائدة: ١٠٠.

(٢) ينظر: الإعجاز والإيجاز (ص: ٣٤). الإعجاز والإيجاز، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

وممَّا يُروى أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدعية قضاء الديون؛ ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه:" اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ الأرض وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحَبِّ والنَّوى، مُنزلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بكَ من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخِذٌ بناصيته، أنت الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدَّين، وأغنني من الفقر"(١).

ومنها ما في الصحيحين عن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة:" اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من المأثم والمغرم" فقال له قائل: ما أكثرَ ما تستعيذُ من المغرم؟ فقال:" إنَّ الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف"(٢)، والمغرم هو الدَّين الذي لا يجد وفاءه، أو الدَّين مُطلقًا.

وكذلك ما روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم، فإذا برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة؛ ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسول الله، فقال: أفلا أعلمك كلامًا؛ إذا قلتَه أذهب الله همَّك، وقضى عنك دينَك؟ قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: قلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال. قال: فقلتُ ذلك، فأذهب الله تعالى همِّي وغمِّي، وقضى ديني(٣).

يقول الإمام الشافعي- رحمه الله-:

يا صاحب الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنفرجٌ	أبشرْ بخيرٍ؛ فإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأسُ يَقطعُ أحيانًا بصاحبِهِ	لا تيأسانَّ؛ فإنَّ الكافي اللهُ
اللهُ يُحدِثُ بعد العُسرِ ميسرةً	لا تجزعنَّ؛ فإنَّ الصانعَ اللهُ
فإذا بُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بِهِ	إنَّ الذي يكشفُ البَلوي هُو
واللهِ ما لكَ غيرُ اللهِ مِنْ أحــدٍ	اللهُ فحسبُكَ اللهُ، في كلِّ لكَ اللهُ(٤)

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦) برقم (٨٣٢) كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٢) برقم (٥٨٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٩٣) برقم (١٥٥٥) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستعاذة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود - الأم (٢/ ١٠٢). ضعيف أبي داود — الأم، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع - الكويت، الطبعة : الأولى - ١٤٢٣هـ.

(٤) ينظر: معجم ابن عساكر (٢/ ٦٧٧) مع تقديم وتأخير في الأبيات. معجم الشيوخ، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر — دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤ ذي القعدة

آداب الطعام

للطعام آداب عديدة، وَرَدَ بعضُها في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وورد بعضها في السنة النبوية، وقد أورد ابن القيم- رحمه الله تعالى- شَذَراتٍ من هَدْيِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب، فقال: كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما جَرَتْ عادةُ أهل بلده بأكله، ولم يكن يحبس نَفْسَه على نوع واحد من الأغذية، وإذا كان في أحد الطعامَينِ كيفيَّةٌ تحتاج إلى كَسْرٍ وتعديلٍ؛ كَسَرَها وعدَّلها بضدِّها، كتعديل حرارة الرُّطب بالبطيخ، وإذا عافت نفسُهُ الطعامَ لم يأكله. كما ذكر أبو هريرة- رضي الله عنه-: ما عابَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم طعاماً قطّ؛ إن اشتهاهُ أَكَلَهَ، وإلَّا تَرَكَهُ ولم يأكلْ منه[(١)]، وكان يحبُّ اللحم والحلواء والعسل، وكان يأكل الخبز مأدومًا ما وجد إدامًا، وكان أحبُّ الشراب إليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد، ويحتمل أن يريد به الماءَ العَذْبَ، ويحتمل أن يريد به الماءَ الممزوجَ بالعسل، أو الذي نُقِعَ فيه التَّمْرُ أو الزَّبيب[(٢)]. وصحَّ عنه- صلى الله عليه وسلم- أنَّه أمَرَ بتخمير الإناءِ ولو أنْ يعرض عليه عودًا[(٣)].

وبالإجمال يمكن إيجاز آداب الطعام فيما يلي:

١- غسْل اليدين قبل الطعام لتخليصهما من الغبار والأوساخ المؤذية المسبِّبة للأمراض.

٢- التسمية قبل الأكل: فقد روى الترمذي عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا أكل أحدُكم طعامًا فلْيقلْ: بسم الله، فإن نسي في أوَّلِه فلْيقلْ: بسم الله في أوَّله وآخره"[(٤)]، وفي رواية أخرى عنها- رضي الله عنها- قالت: كان النبي صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٣) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٣٢) برقم (٢٠٦٤) كتاب الأشربة باب لا يعيب الطعام.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٩٩) وما بعدها. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠٨) برقم (٥٦٠٥) كتاب الأشربة باب شرب اللبن. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٣) برقم (٢٠١٠) كتاب الأشربة باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٤٧٩) برقم (٢٥٧٣٣). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٣٩) برقم (٣٧٣٠) كتاب الأشربة باب ما يقول إذا شرب اللبن. والترمذي في سننه (٤/ ٢٨٨) برقم (١٨٥٨) أبواب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٨٦) برقم (٣٢٦٤) كتاب الأطعمة باب التسمية عند الطعام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٧٨).



وسلم يأكل طعامًا في سِتَّةٍ من أصحابه، فجاء أعرابيٌّ فأكله بلقمتينِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أما إنَّه لو سَمَّى لكفاكم" رواه الترمذي(١).

٣- يجب الأكل باليمين إلَّا لعذر، ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها، فإن لم يجد جاز الأكل بالأصابع، روى مسلم عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا أكل أحدُكم فلْيأكُلْ بيمينه، وإذا شرِب فليشرَب بيمينه؛ فإنَّ الشيطان يأكل بشِماله، ويشرب بشماله"(٢) وروى مسلم أيضًا عن إياس بن سَلَمة بن الأكوع أنَّ أباه حدَّثه أنَّ رجلًا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشِماله، فقال: كُلْ بيمينِك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعتَ، ما منعه إلَّا الكبرُ، قال: فما رفعها إلى فيه(٣).

٤- الأكل ممَّا يليه من الطعام، فلا تمتدُّ يده إلى ما يلي الآخرين ولا إلى وسط الطعام، لما روي عن عمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه- قال: كنتُ غلامًا في حجر رسولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- وكانتْ يَدي تَطيشُ في الصُّحْفَةِ، فقال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ياغلامُ؛ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بيمينكَ، وَكُلْ ممَّا يليكَ، قالَ: فما زالتْ تلكَ طعمتي بعدُ. متفق عليه(٤).

وكذا الأكل من جوانب القصعة أو الطبق، روى أبو داود عن عبد الله بن بُسر- رضي الله عنه- قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم قصعةٌ يُقال لها الغرَّاء، يحملها أربعةُ رجالٍ، فلمَّا أضحَوا وسجدوا الضحى؛ أُتِيَ بتلك القصعة، يعني وقد ثُرِد فيها، فالتفُّوا عليها، فلما كثُروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أعرابيٌّ: ما هذه الجِلسة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلْني جبارًا عنيدًا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُلُوا مِن حَوَالَيْها، ودَعُوا ذروتَها؛ يُبَارَكْ فيها(٥).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٢٨٨) أبواب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام. والحديث صححه الألباني كما في مختصر الشمائل (ص: ١٠٧). مختصر الشمائل المحمدية، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، تحقيق: اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٨) برقم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢١) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٦٨) برقم (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٤٨) برقم (٣٧٧٣) كتاب الأطعمة باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٩٠) برقم (٢٣٧٥) كتاب الأطعمة باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٩). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



وروى الإمام أحمد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" كُلُوا في القصعة مِن جوانبها، ولا تأكلوا من وسطِها؛ فإنَّ البركةَ تنزِل في وسطِها"[١].

٥- وإذا ما وقعت منه اللقمةُ فلْيُمطْ عنها الأذى ولْيأكلْها، لما رُوي عن جابر- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم: كانَ إذا طَعِمَ طعامًا لَعَقَ أصابعَه الثَّلاثَ وقالَ: إنَّ الشيطان يحضُرُ أحدَكم عند كلِّ شيءٍ من شأنه، حتَّى يَحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فلْيُمِطْ ما كان بها من أذًى، ثم لْيأكُلْها، ولا يدَعْها للشيطان، فإذا فرغَ فليَلْعَقْ أصابعه؛ فإنَّه لا يدري في أي طعامه تكون البركة" رواه مسلم[٢].

٦- ويُندَب الجلوس للأكل، ويُكرَه الاتِّكاء؛ لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم:" لا آكلُ مُتَّكِئًا، إنَّما أنا عبدٌ، آكلُ كما يأكلُ العبد، وأجلس كما يجلس العبد" رواه البخاري[٣].

٧- وينتظر حتَّى يبرد الطعام قليلًا؛ لما روى الإمام أحمد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الطعام والشراب[٤]، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشُّرب، فقال رجلٌ: القذاة أراها في الإناء، قال: أهرِقْها، قال: فإنِّي لا أُروَى مِن نَفَس واحد، قال: فأَبِنِ القَدَح إذًا عن فيك[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٥٥) برقم (٢٤٣٩). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٠٧) برقم (٢٠٣٣) كتاب الأشربة باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها.

(٣) روى البخاري الشطر الأول من الحديث: "لا آكل متكئًا" في صحيحه (٧/ ٧٢) برقم (٥٣٩٨) كتاب الأطعمة باب الأكل متكئًا. وروى الشطر الآخر منه البغوي في شرح السنة للبغوي (١١/ ٢٨٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٨٢). شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦) برقم (٢٨١٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٣٨) برقم (٣٧٢٨) كتاب الأشربة باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه. والترمذي في سننه (٤/ ٣٠٤) برقم (١٨٨٨) أبواب الأشربة باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٣٤) برقم (٣٤٢٩) كتاب الأشربة باب النفخ في الشراب. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ١٩٦) برقم (١١٦٥٤). والترمذي في سننه (٤/ ٣٠٣) برقم (١٨٨٧) أبواب الأشربة باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦).



٨- ويُكرَه الإتيان بحركات مُنفرّة للمشاركين كالجُشاء والبصاق والمخاط ونحوه. فَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَكَلْتُ ثَرِيدَةً مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلْت أَتَجَشَّأُ فَقَالَ: يَا هَذَا؛ كُفَّ عَنَّا مِنْ جُشَائِك، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقيل: فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، كَانَ إذَا تَغَدَّى لَا يَتَعَشَّى، وَإِذَا تَعَشَّى لَا يَتَغَدَّى[١].

٩- ويُستحبُّ عدم الإكثار من الطعام؛ فقد روى الترمذي عن مقدام بن معدي كرب- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْن صُلبه، فإن كان لا محالة فثُلُثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسه"[٢].

١٠- ويستحبُّ للضيف ألَّا يُطيل الجلوس عند المضيف من غير حاجة بعد الفراغ من الأكل، بل يستأذن ربَّ المنزل وينصرف؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾[٣].

١١- ولا يُذَمُّ الطعامُ مهما كان- ما دام حلالًا-؛ وذلك لحديث: مَا عابَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم طعامًا قط، إن اشتهاه أَكَلَه، وإلَّا تركه ولم يأكلْ منه. متفق عليه[٤].

١٢- ويُسَنُّ بعد الطعام أن يحمد الله ويدعو، ويغسل يده، ويتمضمض، روى البخاري عن أبي أمامة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال:" الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ، ولا مُستغنًى عنه ربَّنا"[٥].

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٦٤٩) برقم (٢٤٧٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٧٢) وذكر طرقه وألفاظه المختلفة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٤٢٢) برقم (١٧١٨٦). والترمذي في سننه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل، وكراهة الشبع. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١).

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٣) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٣٢) برقم (٢٠٦٤) كتاب الأشربة باب لا يعيب الطعام.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٢) برقم (٥٤٥٨) كتاب الأطعمة باب ما يقول إذا فرغ من طعامه.



وعن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أو شرب قال:" الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوَّغه، وجعل له مخرجًا" رواه أبو داود[١].

وروى أحمد عن عبد الرحمن بن جبير أنَّه حدَّثه رجلٌ خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين، أنَّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا قُرِّب إليه طعامه، يقول: بسم الله، وإذا فرغ من طعامه، قال: اللهمَّ أطعمتَ وأسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ وأحيَيْتَ، فلك الحمد على ما أعطيتَ[٢].

والحمد بعد الطعام من أسباب رضا الله عن العبد، فقد روى مسلم عن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ اللهَ لَيرضى عن العبد أن يأكلَ الأكلةَ فيحمَده عليها، ويشرب الشربة فيحمَده عليها"[٣].

وختامًا؛ فالطعام والشراب من أتمِّ وأكملِ النِّعم على العبد، فعلى المسلم أن يتحَّلى بآداب الطعام شُكْرًا لله تعالى على نِعمه، واتباعًا لسُنَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٦٦) برقم (٣٨٥١) كتاب الأطعمة باب ما يقول الرجل إذا طعم. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٠٨) برقم (٦٨٦٧) كتاب الأشربة المحظورة، القول بعد الشرب. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢١٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ١٤٠) برقم (١٦٥٩٥). والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٠) برقم (٦٨٧١) كتاب الأشربة المحظورة نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٥٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٥) برقم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

٥ ذي القعدة

إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء

الإحسان كلمة بليغة مُعبِّرة، والإحسان" أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك" رواه البخاري ومسلم[١].

وعن أبي يعلى شدَّاد بن أوسٍ- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، ولْيُرِحْ ذبيحتَه" رواه مسلم[٢].

فقوله: (إنَّ الله كتب) أي: أوجب عليكم الإحسان في كلِّ شيءٍ، قال ابن رجب الحنبلي: ولفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين، خلافًا لبعضهم، وإنَّما يُعرَف استعمال لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجبٌ حتمٌ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾[٥][٦].

(الإحسان) مصدر أحسن يُحسِن، إذا أجاد وأتقن وأتى بالشيء على أحسن الوجوه وأكملها، والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة.

(على كل شيءٍ)؛ أي: إلى كلِّ شيءٍ، أو في كلِّ شيءٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٩) برقم (٥٠) كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٦) برقم (٨) كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٤٨) برقم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة.

(٣) النساء: ١٠٣.

(٤) البقرة: ١٨٣

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧) البقرة: ١٠٢



(فإذا قتلتم) أي: أردتم قتْلَ مَن يجوز قتله (فأحسِنوا القِتلة) والقِتلة بكسر القاف، وهي الهيئة والحالة، بأن تختاروا أسهل الطرق وأخفَّها إيلامًا وأسرعها زهوقًا، ويُستثنَى منه قتْل قاطع الطريق بالصَّلب، والزاني المحصَن بالرجم؛ لورود النص بذلك.

(وإذا ذبحتم) ما يحلُّ ذبحُه من الحيوانات (فأحسِنوا الذِّبْحة) وإحسان الذبح في البهائم: الرفق بها، فلا يَصرعها، ولا يَجُرُّها من موضعٍ إلى آخر، وإحداد الآلة، وتوجيهها إلى القِبلة، والتسمية، والإجهاز، ونيَّة التقرُّب إلى الله بذبحها، وإراحتها، وتركها إلى أن تبرد، وشُكْر الله حيث سخَّرها لنا ولم يُسلِّطها علينا، ولا يذبحها بحضرة أخرى.

(ولْيُحِدَّ أحدُكم) أي: لِيَسُنَّ كلُّ ذابحٍ (شفرته) أي: سكِّينه، (وليُرِحْ ذبيحته) بعرض الماء عليها قبل ذبحها لتشرب، وأن يسوقها إلى موضع الذبح برفق، وأن يضجعها بمكانٍ سهلٍ غير وعرٍ، وأن يجعل إمرار السكِّين عليها بقوَّة؛ ليُسرِعَ موتها فتستريح من ألمه.

وكان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ينهى عن المثْلة، وكانَ صلى الله عليه وسلم إذا بعثَ سريةً تغزو في سبيلِ اللهِ قالَ لهم:" لا تُمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا" رواه مسلم[(١)]، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم:" قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تُمَثِّلُوا بِعِبَادِي" رواه أحمد[(٢)]. كما روى أيضًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قَالَ:" مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ؛ مَثَّلَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[(٣)].

والقصاص في القتل بأن يُقتَلَ القاتلُ كَمَا قَتَلَ، ففي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه- قَالَ: خَرَجَتْ جَارِيَةٌ عَلَيْها أَوْضَاحٌ بِالمدِينَةِ، فَرَمَاهَا يَهُودِيٌّ بِحَجَرٍ، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِهَا رَمَقٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فُلانٌ قَتَلَكِ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَها، فأعَادَ عَلَيْهَا، قالَ: فُلَانٌ قَتَلَكِ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَقَالَ لَهَا فِي الثَّالِثَةِ: فُلانٌ قَتَلَكِ؟ فَخَفَضَتْ رَأْسَها، فَدَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَضَخَ رَأْسَهُ بَيْنَ الحَجَرَيْنِ[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٧) برقم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٩٩) برقم (١٧٥٥٨). والحديث ذكره الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٢٩٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٤٧٤) برقم (٥٦٦٢). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ١٥٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٥١) برقم (٥٢٩٥) كتاب الطلاق باب الإشارة في الطلاق والأمور. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٩) برقم (١٦٧٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات، والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة.



وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَتَلَ جَارِيَةً مِنَ الأَنْصارِ عَلَى حُلِيٍّ لَهَا، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي القَلِيبِ، وَرَضَخَ رَأْسَها بِالحِجَارَةِ، فَأُخِذَ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأُمِرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ حَتَّى يَمُوتَ، فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ(١).

كما نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن التحريق بالنار، ففِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وفُلانًا- لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ- فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ: إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وفُلانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا(٢).

وفيه أَيْضًا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ- رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ عزَّ وَجلَّ(٣).

وخَرَّجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ مِن حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَمَرَرْنَا بِقَرْيَةِ نَمْلٍ قَدْ أُحْرِقَتْ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: إِنَّه لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ عزَّ وَجلَّ(٤).

ولا صحَّة لما رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ- رضي الله عنه- أَنَّه حَرَّقَ الفُجَاءَةَ بالنَّارِ. ولا ما رُوي عن عَلِيِّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أَنَّه حَرَّقَ المرْتَدِّينَ، وإِنَّمَا دَخَّنَ عَلَيْهِم فقط حَتَّى مَاتُوا.

وأجاز البعض التَّمْثِيلِ للكُفْرِ لا سِيَّمَا إِذَا تَغَلَّظَ، وحُمِلَ النَّهْيُ عن المثْلَةِ عَلَى القَتْلِ بالقِصَاصِ، واسْتَدَلَّ مَن أَجَازَ ذَلِكَ بِحَدِيثِ العُرَنِيِّينَ، وَقَدْ خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ- رضي الله عنه-: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا؛ فَافْعَلُوا، فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاءِ، فَقَتَلُوهُم، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٩) برقم (١٦٧٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات، والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤٩) برقم (٢٩٥٤) كتاب الجهاد والسير باب التوديع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦١) برقم (٣٠١٧) كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٧/ ١١٨) برقم (٤٠١٨). وأبو داود في سننه (٣/ ٥٥) برقم (٢٦٧٥) كتاب الجهاد باب في كراهية حرق العدو بالنار. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢) برقم (٨٥٦٠) كتاب السير، النهي عن إحراق الحيوان. والحديث صحح إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٤).



صلى الله عليه وسلم، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُم وَأَرْجُلَهُم، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُم، وَتَرَكَهُم فِي الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا(١).

فَيَدُلُّ هَذَا الحديث عَلَى جَوَازِ التَّمْثِيلِ بِمَن تَغَلَّظَتْ جَرَائِمُهُ في الجُمْلَةِ، وإِنَّمَا نُهِيَ عن التَّمْثِيلِ في القِصَاصِ.

وَقَدْ وَرَدَ الأَمْرُ بالرِّفْقِ بالذَّبِيحَةِ عِنْدَ ذَبْحِهَا، روى ابنُ ماجه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرَجُلٍ وهو يَجُرُّ شَاةً بأُذُنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: دَعْ أُذُنَهَا وَخُذْ بِسَالِفَتِهَا(٢). والسَّالِفَةُ: مُقَدَّمُ العُنُقِ.

وروى الطَّبَرَانِيُّ مِن حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم برَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَه عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وهو يَحُدُّ شَفْرَتَه، وهي تَلْحَظُ إِلَيْهِ ببَصَرِهَا، فَقَالَ: أَفَلا قَبْلَ هَذَا؟ تُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتين؟(٣)

ورَأَى عُمَرُ رَجُلًا يَسْحَبُ شَاةً برِجْلِهَا لِيَذْبَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: ويْلَكَ قُدْهَا إِلَى المَوْتِ قَوْدًا جَمِيلًا(٤).

وفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي لأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: والشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٢) برقم (٦٨٠٢) كتاب الحدود باب المحاربين من أهل الكفر والردة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٦) برقم (١٦٧١) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب حكم المحاربين والمرتدين.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥٩) برقم (٣١٧١) كتاب الذبائح باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف الإسناد جدا" كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٧/ ١٧١). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٥٤) برقم (٣٥٩٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٣). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

(٤) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٤/ ٤٩٣) برقم (٨٦٠٥). والأثر ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب ٣٤٠). المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣. ضَعِيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٥٩) برقم (١٥٥٩٢). والحديث صحح إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٥).



وقَالَ نَوْفٌ البِكَالِيُّ: إِنَّ رَجُلًا ذَبَحَ عِجَّوْلًا بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِ، فَخُبِّلَ، فَبَيْنَا هو تَحْتَ شَجَرَةٍ فِيهَا وَكْرٌ فِيهِ فَرْخٌ، فَوَقَعَ الفَرْخُ إِلَى الأَرْضِ، فَرَحِمَهُ فأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ علَيْهِ قُوَّتَهُ(١).

وختامًا أخي المسلم؛ اعلمْ أنَّ امرأة بغيًّا من بغايا بني إسرائيلَ سقتْ كلبًا فغُفِرَ لها بهِ. متفقٌ عليهِ(٢). ودخلتْ امرأةٌ النَّارَ في هِرةٍ حبستْها، ولم تطعمْها ولمْ تدعْها تأكلُ من خِشاشِ الأرضِ. متفقٌ عليهِ(٣).

أَحْسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ... فَطَالَما اسْتَعْبَدَ الإنسانَ إحْسَانُ
وَإنْ أسَاءَ مُسِيءٌ فلْيَكنْ لكَ في ... عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفرانُ(٤)

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٣) برقم (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٥) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) برقم (٢٣٦٥) كتاب المساقاة باب فضل سقي الماء. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٠) برقم (٢٢٤٢) كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة.

(٤) البيتان لأبي الفتح البستي. ينظر: موسوعة الرقائق والأدب (ص ٧١١). موسوعة الرقائق والأدب
المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني.



٦ ذي القعدة

لا ضرر ولا ضرار

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ" رواه ابن ماجه[١]. هذا الحديث يشمل كُلَّ أنواع الضَّرر؛ لأنَّ النَّكِرَةَ في سياقِ النَّفي تعمُّ.

وهذا الحديث يُمثِّل قاعدة الإسلام في الشرائع وقواعد الأخلاق والتعامل بين الخلْق، وهي دفْع الضرر عنهم بمختلف أنواعه ومظاهره، فالضرر مُحرَّمٌ، وإزالة الضرر واجبٌ، والضرر لا يُزال بالضرر، والمضارُّ مُحرَّمة.

بل إنَّ بعض العلماء جعل هذا الحديث" لا ضرر ولا ضرار" نصف الفقه، وذلك أنَّ الأحكام: إمَّا لجلب مصلحة، أو لدفْع مضرَّة؛ لأنَّ الشريعة إمَّا أمْرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن مُنكَر، والأوَّل تُجلَب فيه المصالح، والثاني تُدفَع فيه المضار.

وهل بين الضرر والضرار فرق أم لا؟ فمن العلماء من قال: هما بمعنى واحد على وجه التأكيد، والمشهور أن بينهما فرقًا، ثم قيل: إنَّ الضرر هو الاسم، والضرار الفعل، فالمعنى أنَّ الضرر نفسه مُنتفٍ في الشرع، وإدخال الضرر بغير حق كذلك، وقيل: الضرر أن يُدخِل على غيره ضررًا بما ينتفع هو به، والضرار: أن يُدخِل على غيره ضررًا بلا منفعة له به، كمَن منع ما لا يضرُّه ويتضرَّر به الممنوع، ورجَّح هذا القول طائفة، منهم ابن عبد البر، وابن الصلاح، وقيل: الضرر: أن يضرَّ بمن لا يضرُّه، والضرار: أن يضرَّ بمَن قد أضرَّ به على وجه غير جائز، وبكلِّ حالٍ فالنبي صلى الله عليه وسلم إنَّما نفى الضرر والضرار بغير حق[٢].

وأقرب تصوُّر للكلمتين: أنَّ نفي الضرر إنَّما قُصِد به عدم وجود الضرر فيما شرعه الله لعباده من الأحكام، وأمَّا نفي الضرار: فأُريد به نهي المؤمنين عن إحداث الضرر أو فعله.

على أنَّ الضرر المنفيَّ في الدِّين لا يتناول العقوبة والقصاص؛ لأنَّ عقاب المجرِم على جريمته هو السبيل الوحيد الذي يردع الناس عن انتهاك حدود الله، والاعتداء على حقوق الآخرين، بل إنَّنا نقول: إنَّ هذه الحدود التي شرعها الله عزَّ وجلَّ هي مقتضى العدْل والحكمة؛ إذ لا يُعقَل أن نُغلِّب

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٥) برقم (٢٨٦٥). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٨٤) برقم (٢٣٤١) كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٤٠٨).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٢١٢).

جانب مصلحة الفرد على حساب مصلحة المجتمع كلِّه، ولا يُعقَل أن ننظر بعين العطف على الجاني، ونتناسى حقَّ مَن جنى عليهم، ولذلك يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

ولذا قال العلماء: يُسْتُثنى من هذا الحديث: إدخال الضَّرَرِ على أحدٍ يستحِقُّه؛ لِكَونِه تَعَدَّى حُدودَ الله، فيُعاقَب بقدْرِ جريمته، أو لِكونِه ظَلَمَ نفسَه وغيرَه، فيَطْلُب المظلومُ مُقابلته بالعدل؛ فهذا غيرُ مُرادٍ بالحديث قَطْعًا. ومن أمثلة الضَّرَر الجائز الذي لا حَرَجَ فيه؛ قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٢].

ولم يقتصر الحديث على نفي الضرر في الشريعة، بل أتبعه بالنهي عن إضرار العباد بعضهم لبعض، فالمكلَف منهيٌّ عن كلِّ فعلٍ يترتَّب عليه إضرار الآخرين، سواء قصد صاحبه الإضرار أم لم يقصد. وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول الدين، فإنَّ الفرد إذا التزم بصيانة حقوق غيره وعدم الإضرار بها؛ فإنَّ مِن شأن ذلك أن تقلَّ المنازعات بين الناس، فينشأ المجتمع على أساس من الاحترام المتبادَل بين أفراده.

أمَّا إذا تخلَّى الناس عن العمل بهذا المبدأ، وصار كلُّ إنسانٍ ينظرُ إلى مصلحته دون أي اعتبارٍ للآخرين؛ فهنا تحصل الكارثة، وتشيع الأنانية المدمِّرة، وهذا ما جاء الإسلام بإزالته والقضاء عليه.

فدفْعُ الأذى والضرر عن النفس والغير، وعدم المضارة؛ من القواعد الأصولية التي أطبق على القول بها علماءُ الإسلام، مستنبطين ذلك من كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحكمون على كثير من الحوادث بها؛ ففي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾[٦]، وكما قرن عزَّ وجلَّ الضرار بأكبر الذنوب؛ حيث قال:

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) الطلاق: ٦.

(٤) البقرة: ٢٣٣.

(٥) النساء: ١٢.

(٦) البقرة: ٢٨٢.



﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[(١)]، كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنَّ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، في أخبار كثيرة تُقرِّرُ أنَّه لا يحلُّ لمسلم أن يُلحِق ضررًا بنفسه أو بغيره.

وقد طبَّق الخلفاء والفقهاء والقضاة هذا المبدأ على مرِّ الدهور والعصور، ففي عهد أمير المؤمنين عُمَرَ بنِ الخطَّاب- رضي الله عنه- سَاقَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ خَلِيجًا لَهُ مِنَ الْعُرَيْضِ، فَأَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِهِ فِي أَرْضِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَأَبَى مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ: لِمَ تَمْنَعُنِي وَهُوَ لَكَ مَنْفَعَةٌ؛ تَشْرَبُ بِهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَلَا يَضُرُّكَ؟ فَأَبَى مُحَمَّدٌ، فَكَلَّمَ فِيهِ الضَّحَّاكُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَدَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لِمَ تَمْنَعُ أَخَاكَ مَا يَنْفَعُهُ وَهُوَ لَكَ نَافِعٌ تَسْقِي بِهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَهُوَ لَا يَضُرُّكَ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَا وَاللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَيَمُرَّنَّ بِهِ، وَلَوْ عَلَى بَطْنِكَ، فَأَمَرَهُ عُمَرُ أَنْ يَمُرَّ بِهِ، فَفَعَلَ الضَّحَّاكُ. رواه مالك في الموطَّأ[(٢)].

والمراد بالضرر في الحديث: لا ضرر في الشرع، أي لا ضرر كائن في الشريعة الإسلامية، وهذا النفي مُنصبٌّ على جهتين: العبادات والمعاملات. ففي العبادات لم يُشرَع لنا شيء فيه ضرر على العبد، فمثلًا إذا نظرتَ إلى المريض يُصلِّي قائمًا، فإن تضرَّر بالقيام صلَّى قاعدًا، يتطهَّر بالماء، فإن كان الماء يضرُّه ينتقل منه إلى التراب، فهذا يدلُّ على أنه لم تُشرَع عبادة فيها ضرر بالعبد، بل إذا وجد الضرر جاء التخفيف. وفي المعاملات نُفِيَ الضرر شرعًا في أمور المعاملات والأمور الاجتماعية مثل النكاح والبيع والشراء وغيرها، وهذه كلُّها في تشريعات الإسلام نفى فيها الضرر من جهة التشريع.

ومن لطائف هذه القاعدة الفقهية: أنه قد بُنِيَ عليها الكثير من الفروع الفقهية، كالحجْر على فاقد الأهلية أو ناقصها حماية له وحفظًا لحقوق الآخرين، وثبوت حق الشفعة دفعًا للضرر الذي يمكن أن يلحق الشريك من المشتري. ومنها: لو باع شيئًا مما يسرع إليه الفساد كالفواكه وغاب المشتري قبل دفع الثمن؛ وخيف فساد الفواكه فللبائع أن يفسخ البيع ويبيع لآخر، دفعًا للضرر. ومنها أيضًا:

---

(١) التوبة: ١٠٧.

(٢) رواه موطأ مالك ت الأعظمي (٤/ ١٠٨٠) برقم (٢٧٦٠). والأثر قال عنه الألباني: "وهذا سند صحيح على شرط الشيخين" إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٢٥٤). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

جواز حبْس المشهورين بالدعارة والفساد حتَّى تظهر توبتهم، ولو لم يثبت عليهم جُرمٌ مُعيَّن بطريق قضائي دفعًا لشرِّهم.

الخلاصة: لقد حرَّم الإسلام الضرار بكل صوره، وجميع أشكاله، حتَّى حرَّم الإضرار بالآخرين منذ ولادتهم إلى حين وفاتهم، بل وبعد موتهم، فحرَّم إضرار الأم بولدها، وحرَّم تغيير الوصية بعد سماعها، وحرَّم إضرار الموصي في وصيَّته، وحَفِظَ للأموات حقوقهم حتَّى حرَّم سبَّ الأموات، فما أعظمَها من شريعة! وما أحسنَه من دين!

٧ ذي القعدة

اللهُ لطيفٌ بعباده

قال الإمام السعدي- رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[(١)]: (الله لطيفٌ بعباده) يُخبِر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويُحبُّوه، ويتعرَّضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يُوصِّل عباده- وخصوصًا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون. فمِن لطفه بعبده المؤمن أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسَّر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبَّة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن يُثبِّتوا عباده المؤمنين، ويحثُّوهم على الخير، ويُلقوا في قلوبهم مِن تزيين الحق ما يكون داعيًا لاتِّباعه. ومِن لطفه أن أَمَرَ المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض. ومِن لطفه أن قيَّض لعبده كلَّ سببٍ يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتَّى أنَّه تعالى إذا علم أنَّ الدنيا والمال والرياسة ونحوها- ممَّا يتنافس فيه أهل الدنيا- تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية؛ صرفها عنه، وقدَرَ عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) بحسب اقتضاء حكمته ولطفه (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الذي له القوة كلُّها، فلا حول ولا قوَّة لأحدٍ من المخلوقين إلَّا به، الذي دانتْ له جميع الأشياء[(٢)].

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (الله لطيفٌ بعباده) قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: حفيٌّ بهم. وقال عكرمة: بارٌّ بهم. وقال السدي: رفيقٌ بهم. وقال مقاتل: لطيفٌ بالبَرِّ والفاجر، حيث لم يقتلهم جوعًا بمعاصيهم. وقال القرظي: لطيفٌ بهم في العرض والمحاسبة. قال:

غدًا عند مولى الخلْق للخلْق موقفٌ   يُسائِلُهم فيه الجليلُ ويَلطُفُ

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنَّه جعل رزقك من الطيِّبات. والثاني أنَّه لم يدفعْه إليك مرَّة واحدة فتبذِّره. وقال الحسين بن الفضل: لطيفٌ بهم

---

(١) الشورى: ١٩.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

في القرآن وتفصيله وتفسيره. وقال الجنيد: لطيفٌ بأوليائه حتَّى عرفوه، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه. وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمَن لجأ إليه مِن عباده؛ إذا يئس من الخَلْق توكَّل ورجع إليه، فحينئذ يَقبَله ويُقبِل عليه.

ثم قال: قال أبو علي الثقفي- رضي الله عنه-:

أمرُّ بأفناء القبور كأنَّني ... أخو فطنةٍ والثوابُ فيه نحيفُ

ومَن شقَّ فاه اللهُ قدَّرَ رزقَه ... وربِّي بمَن يلجأ إليه لطيفُ

وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب، وقيل: هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل. وقيل: هو الذي يجبر الكسير ويُيَسِّر العسير. وقيل: هو الذي لا يُخاف إلَّا عدلُه، ولا يُرجى إلَّا فضلُه.

وقيل: هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمَّة، ويُكلِّفه الطاعة فوق الطاقة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[(٣)]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾[(٤)]. وقيل: هو الذي يُعين على الخدمة، ويُكثِر المدحة. وقيل: هو الذي لا يُعاجِل مَن عصاه، ولا يُخيِّب مَن رجاه. وقيل: هو الذي لا يَرُدُّ سائله، ولا يوئس آمله. وقيل: هو الذي يعفو عمَّن يهفو. وقيل: هو الذي يَرحم مَن لا يَرحم نفسه[(٥)].

وقال البعض: إن الإضافة في (بعباده) إضافة تشريف؛ إذ أكثر استعمال التنزيل الجليل في مثل ذلك، فيختصُّ العباد بأوليائه تعالى المؤمنين، وحمل اللطف على منح الهداية وتوفيق الطاعة، وعلى الكمالات الأخروية والكرامات السَّنيَّة.

---

(١) النحل: ١٨.

(٢) لقمان: ٢٠.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) النساء: ٢٨.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ١٦). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وقال ابن القيم- رحمه الله-: واسمه اللطيف يتضمَّن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفيَّة[١]، وقد نظم هذا في النونية فقال:

وهو اللطيفُ بعبدِهِ ولعبدِهِ ... واللطـــفُ في أوصـــافِهِ نوعـــــانِ
إدراكُ أسرارِ الأمورِ بخبرةٍ ... واللطفُ عندَ مواقعِ الإحسانِ والعبدُ
فيُريـكَ عزَّتَهُ ويُبـــدي لُطفَهُ ... في الغفـــلاتِ عـــن ذا الشـــانِ[٢]

وقد استدلَّ البعض بهذا الاسم (اللطيف) على وجود الله تعالى، عندما سُئل: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال: إنَّ البعر يدلُّ على البعير، وإنَّ الأثر يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألَّا يدلُّ ذلك على وجود اللطيف الخبير؟![٣]

وختامًا: فاللَّطِيف صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَاسْمٌ مِنْ أَسمائه. فهو اسمُ ذاتٍ تضمَّن صفةَ فعلٍ، وقد ذُكِر في القرآن سبع مرَّات؛ خمسٌ منها مُطلقًا غير مُقيَّد، مقرونًا بالخبير: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٦]، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٧]، ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٨].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٣٤). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) الكافية الشافية (ص: ٧١٨). الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي | ناصر بن يحيى الجنيني | عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل | فهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٥٧). شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) الملك: ١٤.

(٦) الحج: ٦٣.

(٧) لقمان: ١٦.

(٨) الأحزاب: ٣٤.

ومرَّتان جاء مُقيَّدًا ومُعَدًّى بحرف جر: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾(١)، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾(٢). ويُروى عن عليٍّ- رضي الله عنه- أنَّه قال:

فكــمْ للهِ مِـن لُطـفٍ خفــــيٍّ ... يَدقُّ خَفاه عن فهمِ الذَّكيِّ

وكم يُسرٍ أتى من بعـــد عُســرٍ ... ففرَّجَ كُربَةَ القلبِ الشَّجـيِّ

وكـــمْ أمْرٍ تُســاءُ به صباحًـــا ... وتأتيك المسـرَّةُ في العَشــــيِّ

إذا ضـــاقتْ بك الأحــوال يومًا ... فثِقْ بالواحــدِ الفـــــردِ العليِّ

وَلَا تَجزَعْ إذا مـــا نَابَ خَطْــبٌ ... فكمْ للهِ مِن لُطفٍ خفيِّ(٣)

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) الشورى: ١٩.

(٣) ينظر حدائق الأولياء (٢/ ٢٨٤). حدائق الأولياء، (١٣٤ مجلسًا في شتى فروع المعرفة من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها) المؤلف: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن الملقن الأنصاري الأندلسي (ت ٨٠٤ هـ) اعتنى به ووضع حواشيه: السيد يوسف أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

٨ ذي القعدة

البحْثُ عن الحقِّ (قصَّة سلمان الفارسيِّ)

يحكي الصحابي الجليل سلمان الفارسي- رضي الله عنه- عن نفسه فيقول: كنتُ رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يُقال لها: جَيُّ، وكان أبي دهقان (رئيس) قريته، وكنتُ أحبُّ خلْقِ اللهِ إليه، فلم يزل به حُبُّه إيَّاي حتَّى حبسني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ في المجوسيَّة حتَّى كنتُ قاطنَ (خادم) النار الذي يُوقدها، لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة (بستان) عظيمة، فَشُغِلَ في بنيانٍ له يومًا، فقال لي: يا بُنيَّ؛ إنِّي قد شُغِلتُ في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فأطلعها، وأمَرَني فيها ببعض ما يريد، فخرجتُ أريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون، وكنتُ لا أدري ما أمر الناس لحبْس أبي إيَّاي في بيته، فلمَّا مررتُ بهم وسمعتُ أصواتهم؛ دخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتُهم أعجبتْني صلاتُهم، ورغبتُ في أمرهم، وقلتُ: هذا واللهِ خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه، فواللهِ ما تركتُهم حتَّى غربتِ الشمس، وتركتُ ضيعة أبي ولم آتِها، فقلتُ لهم: أين أَصْلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، ثم رجعتُ إلى أبي، وقد بَعثَ في طلبي، وشغلتُه عن عمله كلِّه، فلمَّا جئتُه قال: أيْ بُنيَّ؛ أين كنتَ؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ؟ قلتُ: يا أبتِ؛ مررتُ بناسٍ يُصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فواللهِ ما زلتُ عندهم حتَّى غربت الشمس، قال: أيْ بُنيَّ؛ ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه، قلتُ: كلا واللهِ، إنَّه خيرٌ من ديننا، فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثمَّ حبسني في بيته، وَبَعَثْتُ إلى النصارى فقلتُ لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى فأخبروني بهم، فقدِمَ عليهم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم، فقلتُ لهم: إذا قضَوا حوائجَهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، فلمَّا أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيتُ الحديد من رجلي، ثم خرجتُ معهم حتَّى قدمتُ الشام، فلمَّا قدمتُها قلتُ: مَن أفضلُ أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئتُه فقلتُ: إنِّي قد رغبتُ في هذا الدين، وأحببتُ أن أكون معك، أخدمك في كنيستك، وأتعلَّم منك وأُصلِّي معك، قال: فادخلْ، فدخلتُ معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويُرغِّبُهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء؛ اكتنزه لنفسه ولم يُعطِه المساكين، حتَّى جمع سبع قلال من ذَهَبٍ وَوَرِقٍ (فضة)، وأبغضتُه بُغضًا شديدًا لما رأيتُه يصنع، ثم مات، فاجتمعَت إليه النصارى ليدفنوه، فقلتُ لهم: إنَّ هذا كان رجلَ سوءٍ، يأمرُكم بالصدقة ويُرغِّبُكم فيها، فإذا جئتموه بها



اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمُك بذلك؟ قلتُ: أنا أدلُّكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه، فأريتُهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه.

يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يُصلِّي الخمس أرى أنَّه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، فأحببتُه حُبًّا لم أُحبَّه مَن قبله، وأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرتُه الوفاة، فقلتُ له: يا فلان؛ إنِّي كنتُ معك، وأحببتُك حُبًّا لم أحبَّه أحدًا من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وما تأمرُني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما أعلمُ أحدًا اليوم على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس وبدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلَّا رجلًا بالموصِل وهو فلان، فهو على ما كنتُ عليه، فالْحَقْ به.

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب الموصل، فقلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنَّك على أمره، فقال لي: أقمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلمَّا حضرتْه الوفاة قلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عزَّ وجلَّ ما ترى، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما أعلم رجلًا على مثل ما كُنَّا عليه إلَّا رجلًا بنصيبين، وهو فلان فالْحقْ به .

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب نصيبين، فجئتُه فأخبرتُه بخبري وما أمرني به صاحبي فقال: فأقمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه على أمر صاحبَيه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فواللهِ ما لبثتُ أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرُك أن تأتيَه إلَّا رجلًا بعمورية، فإنَّه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأتِه، فإنَّه على أمرنا.

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرتُه خبري، فقال: أقمْ عندي، فأقمتُ مع رجلٍ على هدْي أصحابه وأمْرهم، واكتسبتُ حتى كان لي بُقَيْرَاتٌ وَغَنَيمَةٌ، ثم نزل به أمرُ اللهِ، فلمَّا حضر قلتُ له: يا فلان؛ إنِّي كنتُ مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ ما أعلم أحدًا من الناس أصبحَ على ما كُنَّا عليه آمُرُك أن تأتيَه، ولكنَّه قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ، هو مبعوثٌ بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مُهاجِرًا إلى أرض بين حرَّتَينِ (أرض ذات حجارة سود) بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفَيه خاتم النبوة، فإنِ استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل.



ثم مات وغُيِّبَ، فمكثت بعَمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرَّ بي نفر من كَلْبٍ تُجَّارٌ، فقلتُ لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتُهموها وحملوني، حتَّى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجلٍ من اليهود عبدًا، فكنتُ عنده، ورأيتُ النخل، ورجوتُ أن تكون البلد الذي وصف لِي صاحبي، ولم يحقَّ لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدِمَ عليه ابنُ عمٍّ له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فواللهِ ما هو إلَّا أن رأيتُها فعرفتُها بصفة صاحبي، فأقمتُ بها.

وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكَّة ما أقام، لا أسمع له بذكْرٍ مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ، ثم هاجر إلى المدينة، فواللهِ إني لَفِي رَأْسِ عِذْقٍ لِسَيِّدِي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالسٌ إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتَّى وقف عليه فقال: يا فلان؛ قاتلَ اللهُ بني قيلة، واللهِ إنَّهم الآن لمجتمعون بقِباء، على رجلٍ قدِمَ عليهم من مكَّة اليوم يزعمون أنَّه نبيٌّ، فلمَّا سمعتُها أخذتْني العُرُواء (برد الحُمَّى)، حتَّى ظننتُ أنِّي سأسقط على سيدي، ونزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عمِّه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالكَ ولهذا؟ أقبلْ على عملك، قلتُ: لا شيء؛ إنَّما أردتُ أن أستثبتَ عمَّا قال، وقد كان عندي شيء قد جمعتُه، فلمَّا أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلتُ عليه فقلتُ له: إنَّه قد بلغني أنَّك رجلٌ صالحٌ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتُكم أحقَّ به مِن غيركم، فقرَّبْتُه إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكلْ، فقلتُ في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفتُ عنه، فجمعتُ شيئًا، وتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم جئتُ به فقلتُ: إنِّي رأيتُك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتُك بها، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلتُ في نفسي: هاتانِ اثنتانِ. ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلَّمتُ عليه ثم استدرتُ أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلمَّا رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرتُه، عرف أنِّي أستثبتُ في شيء وُصِفَ لي، فألقي رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه، فانكببتُ عليه أُقبِّله وأبكي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحوَّلْ، فتحوَّلتُ، فقصصتُ عليه حديثي كما حدَّثْتُك يا ابن عبَّاس.



فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حتَّى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرٌ وأُحُدٌ.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: كاتِبْ يا سلمان، فكاتبتُ صاحبي على ثلاث مئة نخلة أُحييها له بالفقير (أي أغرسها له) وبأربعين أوقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية (صغار النخل)، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر حتى اجتمعتْ لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب يا سلمان، ففقِّرْ لها (احفر لها موضع غرسها)، فإذا فرغتَ فأتِني أكون أنا أضعها بيدي، ففقَّرتُ لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغتُ منها جئتُه فأخبرتُه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها، فجعلنا نُقرِّب له الودي، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديتُ النخل وبقيَ عليَّ المال، فأتي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتَب؟ فَدُعِيتُ له، فقال: خذْ هذه، فأدِّ بها ما عليك يا سلمان. فقلتُ: وأين تقع هذه يا رسول الله ممَّا عليَّ؟ قال: خذْها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُؤدِّي بها عنك، فأخذتُها، فوزنتُ لهم منها- والذي نفس سلمان بيده- أربعين أوقية، فأوفيتُهم حقَّهم، وعُتِقتُ، فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ثم لم يفتْني معه مشهد. رواه أحمد[١].

والقصة أبلغ أن تُشرَح، وفيها من الدروس والعِبَر ما يُغني عن البيان والتوضيح. والحُرُّ يكفيه المقال.

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٤٠) برقم (٢٣٧٣٧). والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٥٥).



٩ ذي القعدة

ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالة؛ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه" رواه الترمذي(١).

شرح المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح الترمذي هذا الحديث فقال: (ما ملأ آدمي وعاء) أي ظرفًا (شرًّا من بطن) صفة وعاء، جعل البطن أوَّلًا وعاءً كالأوعية التي تُتخَذ ظروفًا، ثم جعله شرَّ الأوعية؛ لأنَّها استُعملت فيما هي له، والبطن خُلِقَ لأن يتقوَّم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يُفضي إلى الفساد في الدين والدنيا، فيكون شرًّا منها (بحسب ابن آدم) مبتدأ أو الباء زائدة، أي يكفيه، وقوله (أكلات) بضمتين، خبره نحو قوله بحسبك درهم، والأكلة بالضم اللقمة، أي يكفيه هذا القدر في سدِّ الرمق وإمساك القوة (يُقِمْنَ) من الإقامة (صلبه) أي ظهره، تسمية للكل باسم جزئه، كناية عن أنَّه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط، ويتقوَّى به على الطاعة (فإن كان لا محالة) بفتح الميم ويضم، أي إن كان لا بدَّ من التجاوز عمَّا ذكر فلتكن أثلاثًا (فثلث) يجعله (لطعامه) أي مأكوله، (وثلث) يجعله (لشرابه) أي مشروبه، (وثلث) يدعه (لنفَسه) بفتح الفاء، أي يبقى من ملئه قدر الثلث ليتمكَّن من التنفُّس، ويحصل له نوع صفاء ورقَّة، وهذا غاية ما اختير للأكل، ويحرُم الأكلُ فوق الشبع(٢).

وخصَّ صلى الله عليه وسلم النَّفَسَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ الرِّئةَ تَحتاجُ إلى مِساحةٍ للتَّنفُّسِ، وامتلاءُ البطنِ يُحجِّمُ أمرَها ويُقلِّلُ مِن أدائِها، وفي هذا صحَّةُ الإنسانِ وسَلامتُه مِن الآفاتِ، وهذا ليس فيه مَنْعٌ مِن الشِّبَعِ في بعضِ المرَّاتِ، ولكنَّه إرشادٌ للأفضلِ والأنفعِ للبدَنِ والقلبِ؛ فإنَّ البطنَ إذا امتلَأتْ مِن الطَّعامِ ضاقَت عن الشَّرابِ، فإذا ورَد عليها الشَّرابُ ضاقتْ عن النَّفَسِ وعرَض لها الكَرْبُ والتَّعبُ بحَمْلِه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة، ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل، وكراهة الشبع. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.



قال العلَّامة ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطبِّ كلِّها، وقد رُوي أن ابن ماسويه لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطَّلت المارشايات (أي المستشفيات)، ودكاكين الصيادلة. وإنَّما قال هذا لأن أصل كل داءٍ التخم(١).

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره أنَّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطِّبِّ شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له عليٌّ: قد جمع الله الطِّبَّ كلَّه في نصف آية من كتابنا. فقال له: ما هي؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾(٢). فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطِّبِّ. فقال عليٌّ: جَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطِّبَّ في ألفاظ يسيرة. قال: ما هي؟ قال: المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس كل دواء، وأعطِ كلَّ جسدٍ ما عوَّدْتَه. فقال النصراني: ما ترك كتابُكم ولا نبيُّكم لجالينوس طِبًّا(٣).

قال ابن القيم- رحمه الله- في (زاد المعاد): وأمَّا الحديث الدائر على ألسنة كثيرٍ من الناس: (الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعوِّدوا كلَّ جسمٍ ما اعتاد) فهذا الحديث إنَّما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصحُّ رفعُه إلى النبي صلى الله عليه وسلم(٤).

أسلم طبيب أمريكي، فسُئِلَ عن سبب إسلامه فقال: أسلمتُ بسبب حديثٍ واحدٍ، قالوا له: وما هو؟! فذكر هذا الحديث الشريف، ثم قال: هذا أصل الطِّبِّ، ولو أنَّ الناس نفَّذوه ما كاد يمرض أحدٌ.

وقال لقمان لابنه: يا بُنيَّ؛ لا تأكلْ شبعًا فوق شبعٍ، فإنَّك أن تنبذه للكلب خيرٌ من أن تأكله.

وسأل سمرة بن جندب عن ابنه: ما فعل؟ قالوا: بشم البارحة. قال: بشم! فقالوا: نعم. قال: أما إنَّه لو مات ما صلَّيتُ عليه. (والبشم: التخمة من الدسم)(٥).

قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: كُلْ ما شئتَ، والبسْ ما شئتَ، ما أخطأتْك خصلتان: سرفٌ ومخيلة(٦).

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨).

(٢) الأعراف: ٣١.

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٩٦).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ 519).

(٦) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٧/ ١٤١) كتاب اللباس باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٥٢).



وعنه أيضًا قال: أحلَّ الله الأكل والشُّرب، ما لم يكن سرفًا أو مخيلة[١]. وروى الإمام أحمد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" كُلُوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا، في غير مخيلةٍ ولا سرفٍ، فإنَّ الله يُحبُّ أن يرى نعمته على عبده"[٢].

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٥٠٦) برقم (٦١٢٥). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣١٢) برقم (٦٧٠٨). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٤). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.



وقال العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: والشِّبَع لا بأس به، والرِّيُّ لا بأس به، لكن إذا ترك بعضَ الشِّبَع وبعضَ الري ليتنفَّس وليُعطي بطنَه الراحة؛ فهذا لا بأس به[١].

وقد سبق أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصُّفَّة، وأعطى أبا هريرة- رضي الله عنه- قدحًا فيه لبن ليسقيهم، فسقاهم جميعًا، ثم بقي أبو هريرة والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فقال: والذي بعثك بالحقّ؛ لا أجد له مسلكًا. رواه البخاري[٢] وغيره، يعني: قد رويتُ جدًّا، فلا بأس أن يروى الإنسان ويشبع، لكنَّ كونه يُعالج نفسه، ويُبقي شيئًا للنَّفَس في أكله وشربه، ولا يشبع كثيرًا، ولا يروى كثيرًا؛ يكون أصلح لحاله، وأصلح لجسمه، وأسلم من العواقب.

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله- في كتابه (بدائع الفوائد): ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلَّا أنَّه يدعو إلى الغفلة عن ذكْر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعده ومنَّاه وشهَّاه، وهام به في كلِّ وادٍ؛ فإنَّ النفس إذا شبعت تحرَّكت وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنتْ وخشعتْ وذلّتْ[٣].

وفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَكَلْتُ ثَرِيدَةً مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلْت أَتَجَشَّأُ فَقَالَ: يَا هَذَا؛ كُفَّ عَنَّا مِنْ جُشَائِك، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٤]، فقيل: فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، كَانَ إذَا تَغَدَّى لَا يَتَعَشَّى، وَإِذَا تَعَشَّى لَا يَتَغَدَّى.

ويُذكَرُ أنَّ بعض الأوروبيين لا يشبعون في الأكل، لكن يُكثرون عدد الوجبات، نحن نأكل ثلاث مرَّات، وهم يأكلون خمس مرَّات، لكنَّهم لا يُكثرون الأكل، وهذا هو الترتيب الصِّحِّي، كُلْ قليلًا، وإذا جُعتَ فَكُلْ.

---

(١) ينظر موقع الشيخ ابن باز عليه رحمة الله: https://binbaz.org.sa/fatwas/ ٢٢٢١٤/%D%٨/AD%٩D%٨٣%٩D%٨٥-
A-٨%٩D%١B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩-%D٩B%٨D%٨A%٨D%٤B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨%D
-٨٥%٩D%٧A%٨D%٩B%٨D%٧B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨-%D٨٦%٩D%٨٥%٩%D
٨A%٨D%٧A%٨D%١B%٨D%٤B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩%D

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٦) برقم (٦٤٥٢) كتاب الرقاق باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتخليهم من الدنيا.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٣٥) برقم (٧١٤٠). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٢).

وقد ذكر الأطباء المتخصِّصون أنَّ الإسراف في الطعام هو السبب الحقيقي لمرض السِّمْنة، التي تُؤدِّي إلى تصلُّب الشرايين، وأمراض القلب، وتشحُّم الكبد، وتكوُّن حصوات المرارة، وتُسبِّب مرض السكر، ودوالي القدمين، والجلطة القلبية، والروماتيزم المفصلي الغضروفي بالركبتين، وارتفاع ضغط الدم، والأمراض النفسيَّة، والآثار الاجتماعية التي يُعاني منها البعض.

الخلاصة أنَّ الإسراف والتبذير مذمومانِ؛ وخاصَّة في الطعام والشراب، ونرى ذلك واضحًا في الولائم، وكمْ رأينا بواقي ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب تُلقى في القمامة، بينما هناك الملايين يموتون جوعًا، أو هناك مَن لا يجد ما يسدُّ به رمقه، أو يُقيم به صلبه، وصدق القائل:

دَبِّرِ الْعَيْشَ بِالْقَلِيلِ لِيَبْقَى ... فَبَقَاءُ الْقَلِيلِ بِالتَّدْبِيرِ
لا تُبَذِّرْ وَإِنْ مَلَكْتَ كَثِيرًا ... فَزَوَالُ الْكَثِيرِ بِالتَّبْذِيرِ[1]

---

(١) ينظر: https://www.alriyadh.com/١١٢٣٣٣٨.



١٠ ذي القعدة

قصَّة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة

عن أبي عَبْد الرَّحْمَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رضيَ اللهُ عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجْبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ. قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وَكُنْتُ لَا أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلًا وَلا مالًا، فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فلَمْ أُرِحْ عَلَيْهمَا حَتَّى نَامَا، فَحلبْتُ لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقظَهما وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي، فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ الآخَر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعْلتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي له وَذَهبَ، فثمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كثرتْ منه الأموال فجاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ اللهِ؛ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق، فقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَسْتهْزِئْ بي، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنه شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ" متفقٌ عليه(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩١) برقم (٢٢٧٢) كتاب الإجارة باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.



قال الإمام ابن باز- رحمه الله- بعد ذكره هذا الحديث: خرجوا بعد هذا التوسُّل وهذا الإخلاص، بعدما توسَّلوا إلى الله بهذه الأعمال الخالصة لله، هذا يدلُّ على أنَّ الأعمال إذا كانت لله؛ تكون سببًا لتفريج الكروب في الدنيا والآخرة، الأعمال الصالحة من أسباب تفريج الكروب في الدنيا، ومن أسباب تفريج الكروب في الآخرة يوم القيامة، فعلى العبد أن يجتهد في إصلاح النِّيَّة وإخلاص أعماله لله؛ من صوم وصدقة، وعطاء ومِنَّة، وحجٍّ وعمرة، وغير ذلك يكون لله، تكون أعماله يبتغي بها وجه الله، لا رياء ولا سمعة، وله البشرى من الله أنَّ الله يعطيه الأجر العظيم في الدنيا والآخرة[1].

وفي الحديث جواز أن يتوسَّل العبد إلى الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وبوحيه، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم واتِّباعه، كما قال تعالى عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[3]، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4].

فظهر لنا من قصَّة الرجل الأوَّل فضْل البرِّ والإحسان للوالدين وعظيم حقِّهما، فإنَّ حقَّهما بعد حقِّ الله تعالى، كما أمر الله حيث يقول جلَّ شأنه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[5]. فمن كان بارًّا بهما أكرمه الله في دنياه بالخيرات والبركات في ماله وعمره، فضْلًا عن إكرام الله له في الآخرة.

أمَّا الرجل الثاني فقد انصرف عن المرأة وهي أحبُّ الناس إليه؛ تعظيمًا لله سبحانه، وإجلالًا له، وخوفًا وخشية منه، وهذا فيه قوة وازعه وخوفه وتعظيمه، وهذا أمر عظيم لا يقدر عليه إلَّا من عظُم صدقُه وإخلاصه وتقواه، ونستفيد منه أنَّ الإخلاص لله وخوفه والصدق معه، من أعظم أسباب النجاة من فتنة الشهوات؛ قال الله تعالى عن يوسف- عليه السلام- بعد أن ذكَر الفتنة العظيمة التي حصلت له: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[6]، في

---

(١) من تعليق الشيخ عليه رحمة الله على كتاب رياض الصاحين. ينظر الموقع الرسمي للشيخ عليه رحمة الله: 06من حديث (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه(binbaz.org.sa) ..)

(٢) آل عمران: ٥٣.

(٣) آل عمران: ١٩٣.

(٤) المؤمنون: ١٠٩.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) يوسف: ٢٤.

قراءة بكسر اللام فتكون بمعني المخلِصين بطاعتهم وعبادتهم، وفي قراءة أخرى بالفتح أي: المخلَصين المختارين للنبوة والرسالة.

ومن إكرام الله لمن كان كذلك أن جعله من السبعة الذين يُظلُّهم الله بظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: منهم: ورجل طلبتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إِنِّي أخاف الله،... إلخ" متفق عليه[١].

أمَّا الرجل الثالث فقد ضرب مثلًا عظيمًا في الوفاء والإحسان، والأمانة والسماحة، وعدم إنكار الحقوق، فلم يُفتَن بالمال وحُبِّه، لعظيم إخلاصه وخشيته لله جلَّ وعلا. فأين هؤلاء الذين يأخذون حقَّهم من الناس ويستوفون، ولا يُعطون الناس حقوقهم كاملة، فلْيتقوا الله، ولْيحذروا، ولْيعلموا أنَّ مَنِ استأجرَ أجيرًا ولم يُوفِّه أجره؛ فإنَّ الله سبحانه سيكون خصمه يوم القيامة، فلن يكون خصمك هذا العامل المسكين الضعيف فحسب، بل سيكون خصمُك ربَّ العالمين، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجلٌ باع حُرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفَّ منه ولم يُعطه أجره"[٢].

والسؤال الذي نطرحه أَيُّها الفضلاء: لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا اليوم نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ وَلَيْسَ حَوْلَهُ من يَسْتَنْجِدُ بِهِ، هَلْ لَدَيْنَا عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ تعالى يُمكنُ أَنْ نَتَوَسَّلَ بِهِ لِكَيْ نَنْجُوَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ هَلْ لَنَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ خَفِيَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؟ هَلْ لِأَحدِنَا خَبِيئَةٌ قَدْ خَبَّأَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ؟ هَلْ دَمْعَةٌ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ سَقَطَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؟ أَوْ رَكْعَاتٌ فِي السَّحَرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؟ أَوْ صَدَقَةٌ خَفِيَّةٌ لِأَيْتَامٍ أَوْ فُقَرَاءَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ لَا يَدْرِي بِهَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ؟

لقد ضرب هؤلاء أروع الأمثلة في مواجهة الفتن والشهوات، التي طُبِعَ حبُّها في الإنسان، فخافوا مقام ربِّهم، وغلَّبوا أهواءهم أمام الفتنة، فقد ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[٣]. وقد بيَّن الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩٠) برقم (٢٢٧٠) كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير.

(٣) آل عمران: ١٤.

أنَّ مَن كان كذلك؛ فإنَّ جنته هي المأوى لهم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١].

وختامًا؛ فقد وردتْ بعض الأعمال التي تجعل صاحبها في ظلِّ الرحمن سبحانه يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، وقد نظمها بعضُهم في بيتين:-

وَقَالَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى: إِنَّ سَبْعَةً   يُظِلُّهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِظِلِّهِ
مُحِبٌّ عَفِيفٌ نَاشِئٌ مُتَصَدِّقٌ   وَبَاكٍ مُصَلٍّ وَالْإِمَامُ بِعَدْلِهِ[٢]

---

(١) النازعات: ٤٠،٤١.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٣). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.



١١ ذي القعدة

آداب المساجد (في الشخص نفسه وكذا أدبه داخل بيوت الله)

المساجد بيوت الله، ورياض الجنَّة في الأرض، وأحبُّ البقاع إلى الله، وبها تتعلَّق القلوب، ولها آدابٌ؛ على المسلم أن يتحلَّى بها في نفسه، وداخل بيوت الله.

فمن آداب المساجد في الشخص نفسه:

١- استحباب لبْس الثياب الحسنة والتطيُّب واستعمال السِّواك عند الذهاب إلى المسجد، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(١).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" رواه البخاري ومسلم(٢).

٢- النهي عن حضور المساجد لمن أكل الثوم أو البصل ونحوهما، عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ" رواه البخاري ومسلم(٣).

٣- يُستحَبُّ المشي إلى المساجد؛ لما رواه الإمام مسلم من حديث أُبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"(٤).

وعن أُبي بن كعب- رضي الله عنه- قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تُخطئه الصلاة، فقيل له: لو اشتريتَ حمارًا تركبُه في الظلماء وفي الرمضاء؟ قال: ما يسرُّني أنَّ منزلي إلى جنب المسجد، إنِّي أريد أن يُكتَب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قد جَمَعَ اللهُ لك ذلك كلَّه" رواه مسلم(٥).

---

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٤) برقم (٨٨٧) كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٢) كتاب الطهارة باب السواك.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٠) برقم (٨٥٥) كتاب الأذان باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٩٥) برقم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٠) برقم (٦٦٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد.



٤- يُستحَبُّ التبكير إلى المساجد لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ"(١).

٥- المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(٢).

٦- الدخول بالقدم اليمنى والخروج بالقدم اليسرى وهو يقول الأدعية الواردة في ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ" رواه مسلم(٣).

٧- عدم اتِّخاذها قبورًا؛ لأنَّ المساجد بُنيتْ لعبادة الله تعالى وتوحيده، فينبغي أن تُصان عن كلِّ مظهرٍ يتنافى مع التوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٤)، وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ:" لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" رواه البخاري ومسلم(٥).

ومن آداب المسلم داخل المسجد:

١- يُستحَبُّ الإكثار في المسجد من ذكْر الله تعالى، بالتسبيح والتهليل، والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك قراءة القرآن، وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلْم الفقه،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٩) برقم (٦٣٥) كتاب الأذان باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٤) برقم (٧١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يقول إذا دخل المسجد، دون قوله "فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" فقد رواها الدارمي في سننه (٢/ ٨٧٦) برقم (١٤٣٤). مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) الجن: ١٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٥) برقم (٤٣٥) كتاب الصلاة باب الصلاة في البيعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٦) برقم (٥٢٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.



وسائر العلوم الشرعية، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾(١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ"(٢)، وفي رواية أخرى:" إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"(٣) رواهما مسلم.

٢- إذا دخل المسجد يُصلِّي ركعتين تحية المسجد؛ لما روى البخاري ومسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ"(٤).

٣- النهي عن البيع والشراء، وإنشاد الضالة في المسجد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ" رواه الترمذي(٥).

وروى مسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهاَ اللَّه عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا"(٦).

ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد بحجَّة الفقر والحاجة.

٤- ويجتنب اللغو واللغط، والخوض في أعراض الناس، وكثرة الحديث في أمور الدنيا، ويحذر من الكلام الباطل، أو الكلام الذي لا فائدة فيه، فلا مكان في المسجد للغيبة والنميمة والكذب ونحوها، وإذا كانت هذه الأشياء مُحرَّمة خارج المسجد؛ فهي في المسجد أشدُّ تحريمًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وأمَّا الكلام الذي يُحبُّه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٩٧) برقم (٥٦٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٦) برقم (٢٨٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٧) برقم (بدون) كتاب التهجد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٩٥) برقم (٧١٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحية المسجد بركعتين، وكراهة الجلوس قبل صلاتهما، وأنها مشروعة في جميع الأوقات.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٣/ ٦٠٢) برقم (١٣٢١) أبواب البيوع باب النهي عن البيع في المسجد. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٧) برقم (٩٩٣٣) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن يبيع أو يبتاع في المسجد. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٣٤).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٩٧) برقم (٥٦٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد.



المسجد فَحَسَنٌ، وأمَّا المحرَّم فهو في المسجد أشدُّ تحريمًا، وكذلك المكروه يكون في المسجد أشدَّ كراهية، ويُكرَه فيه فضول المباح(١).

وقد ورد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾(٢)؛ قال: نهى سبحانه عن اللغو فيها(٣).

٥- النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان إلَّا لضرورة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الشعثاء قال: كنا قعودًا في المسجد مع أبي هريرة- رضي الله عنه- فأذَّن المؤذِّن فقام رجلٌ من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بَصَرَهُ حتَّى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أمَّا ذا فقد عصى أبا القاسم(٤).

ولعلَّ سبب النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان ألَّا يتشبَّه المسلم بالشيطان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتَّى لا يسمع صوت التأذين" رواه البخاري(٥).

٦- عدم رفْع الصوت في المسجد ولو بقراءة القرآن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يجهر بعضُكم على بعض بالقرآن" رواه أحمد(٦).

وعن السائب بن يزيد قال: كنتُ قائمًا في المسجد فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، فقال: اذهب فأتني بهذين- وأشار إلى رجلين يتحدَّثان-، فجئتُه بهما فقال: مَن أنتما؟ أو مِن أين أنتما؟ قالا: مِن أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتُكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري(٧).

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٨٤). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) النور: ٣٦.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٦٢). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٣) برقم (٦٥٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٦٣) برقم (١٩٠٢٢). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٧) برقم (٣٣٥٠) كتاب الاعتكاف هل يعظ المعتكف، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢٧١).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠١) برقم (٤٧٠) كتاب الصلاة باب رفع الصوت في المساجد.

٧- الحرص على نظافة المساجد وصيانتها من النجاسات والأوساخ، فيكون المسجد على أكمل صورة في النظافة؛ تعظيمًا لشأنه، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ. رواه أبو داود[(١)].

ولذا قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي بال في المسجد:" إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" رواه مسلم[(٢)].

والخلاصة أنَّ على المسلم أن يحترم بيوت الله، ويتأدّب أثناء زيارتها وأثناء جلوسه فيها.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٢٤) برقم (٤٥٥) كتاب الصلاةباب اتخاذ المساجد في الدور. وترمذي في سننه (٢/ ٤٨٩) برقم (٥٩٤) أبواب السفر باب ما ذكر في تطييب المساجد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٦) برقم (٢٨٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها.



١٢ ذي القعدة

يُبعَث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه

عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ" رواه مسلم[١].

فيُبعَث العبد من قبره على ما مات عليه من العمل؛ من إيمان وصلاح، أو نفاق وفساد، والمقصود بالحديث أنَّ الناس يوم القيامة يجنون ما قدَّموه، لا سيَّما ما يكون في آخر أعمارهم؛ إذ إنَّ الأعمال بالخواتيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيم" رواه البخاري[٢]، فمن كانت خاتمتُه إيمانًا وطاعة وإحسانًا وبرًّا؛ كانت آخرته وكان مبعثه على نحو ما كان في مُقدِّمة عمله من إحسان، وقد قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٣]. فالعبرة بما تُكِنُّه الصدور والضمائر، لا الصور والأشكال.

وإن كان على غير ذلك من فساد أو شرٍّ أو معصية؛ كان مبعثه على نحو ما مات عليه، وليس الشأن فيما يكون من الصور والمظاهر، بل الشأن كل الشأن فيما حوته الصدور؛ ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قومٍ ينزل بهم عذابٌ إلَّا أنَّهم يُبعَثون على نيَّاتهم، وهذا خبرٌ عامٌّ أنَّه إذا نزل العذاب بقومٍ وفيهم من لا يستحقُّ العذاب لصلاحه، أو لوجود مانع فإنَّ نزول العذاب بالقوم أو بالجماعة لا يتطرَّق إلى هذا؛ لأنَّه على نيَّة مختلفة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جيشٍ يغزو الكعبة يُخسَف بأوَّلهم وآخرهم، قالت عائشة- رضي الله عنه-: وفيهم سوقتهم يا رسول الله؟ ومن ليس منهم، (يعني مَن جاء يبيع ويشتري يقصد التجارة، أو ما له غرضٌ في هذا المجيء إمَّا إكراه أو غير ذلك) قال:" يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ" متفق عليه[٤]، يُبعَثون على نيَّاتهم يعني ما في قلوبهم، فقوله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ" يعني في قلبه من إيمان وصلاح واستقامة، أو عكس ذلك من نفاق وفساد ومعصية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٠٦) برقم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٤) برقم (٦٦٠٧) كتاب القدر باب العمل بالخواتيم.

(٣) الرحمن: ٦٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٥) برقم (٢١١٨) كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٠) برقم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

والإنسان يموت على واحدٍ من هذه الأحوال:

١- إمَّا أن يموت على عملٍ صالحٍ؛ كأن يموت مُصلِّيًا، أو مُحرِمًا، أو مُجاهِدًا.

٢- أو يموت على معصيةٍ؛ كمَن يموت زانيًا، أو سارقًا، أو مُغتابًا.

٣- أو يموت على عمل مُباحٍ؛ كالذي يموت وهو يأكل أو يشرب، أو في عمله، أو في طريقه لجهة من الجهات المباحة.

وقوله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ"؛ يحتمل أنه يُبعَث على الصورة التي مات عليها من عملٍ صالحٍ، أو عملٍ سيءٍ، أمَّا المباح فلا إثابة فيه، ولا معاقبة عليه.

وقد جاء في الحديث في خبر الذي وقصته راحلته، أي سقط من الراحلة وكان مُحرِمًا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا" رواه البخاري ومسلم(١)، أي يُبعَث على العمل الذي مات عليه.

وكذلك الشهيد فإنَّه يُبعَث يوم القيامة ودمه يثعب، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، وهذا قد مات على عملٍ صالحٍ. عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ-؛ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ " متفق عليه(٢).

وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ مَن جاهد في سبيل الله فقُتِل صابرًا مُحتَسِبًا بُعِثَ يوم القيامة صابرًا مُحتَسِبًا، ومَن قاتَلَ رياءً ومُكابرة بُعِثَ يوم القيامة مُرائيًا مُكابِرًا. رواه أبو داود(٣)، وهذا يدلُّ على أنَّه يُبعَث على صورة عمله، فإن مات مُصلِّيًا بُعِثَ يوم القيامة مُصلِّيًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٦) برقم (١٢٦٧) كتاب الجنائز باب كيف يكفن المحرم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٦٥) برقم (١٢٠٦) كتاب الحج باب ما يفعل بالمحرم إذا مات.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨) برقم (٢٨٠٣) كتاب الجهاد والسير باب من يجرح في سبيل الله عز وجل. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٦) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٤) برقم (٢٥١٩) كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولفظه: عن عبد الله بن عمرو، قال: قال عبد الله بن عمرو: يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو؟ فقال: «يا عبد الله بن عمرو، إن قاتلت صابرا محتسبا، بعثك الله صابرا محتسبا، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا، يا عبد الله بن عمرو، على أي حال قاتلت، أو قتلت بعثك الله على تلك الحال». والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١١٢٩).



وقد أخبر الله تعالى أنَّ البعث يكون على وفق العمل في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[١] ، وقال أيضًا فيمن تولَّى عن ذكره: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[٢] ، فنسيتَها يعني: عميتَ عنها، وكذلك اليوم.

والغالُّ من الغنيمة يأتي يوم القيامة بما غَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[٣]. قال الإمام القرطبي- رحمه الله-: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: يأتي به حاملًا له على ظهره ورقبته، مُعذَّبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، ومُوبَّخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد[٤].

ومن الغلول غلول الحكام والموظَّفين والعمال والولاة من الأموال العامَّة. ويقول الصحابي الجليل أبو هريرة- رضي الله عنه-: قَامَ فِينَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ الغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ:" لَا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ على رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، على رَقَبَتِهِ فَرَسٌ له حَمْحَمَةٌ، يقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا، قدْ أبْلَغْتُكَ، أو على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ، يقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا قدْ أبْلَغْتُكَ، أو علَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيَقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا قدْ أبْلَغْتُكَ، أوْ على رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيَقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا، قدْ أبْلَغْتُكَ" رواه البخاري ومسلم[٥].

كذلك آكِلُ الرِّبا يُبعَث يوم القيامة على حالٍ مُعيَّنة استحقَّها؛ لأكْلِه الرِّبا، فإنَّه يُبعَث يوم القيامة كالمجنون الذي أصابه المسُّ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾[٦].

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) طه: ١٢٥، ١٢٦.

(٣) آل عمران: ١٦١.

(٤) تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٧٤) برقم (٣٠٧٣) كتاب الجهاد والسير باب الغلول. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٦١) برقم (١٨٣١) كتاب الإمارة باب غلظ تحريم الغلول.

(٦) البقرة: ٢٧٥.

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلَّا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبُّط الشيطان له، وذلك أنَّه يقوم قيامًا مُنكَرًا، وقال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: آكِلُ الرِّبا يُبعَث يوم القيامة مجنونًا يُخنَق[١].

الخلاصة: يقول العلَّامة ابنُ القيِّم- رحمه الله-: الرجل يموت على ما عاش عليه، ويُبْعَثُ على ما مات عليه[٢].

فعلى الإنسانِ أنْ يجتَهِدَ في فِعْلِ الأعْمالِ الصَّالِحةِ؛ لأجْلِ أنْ يَبعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ على عَمَلٍ صالِحٍ، وعليه أنْ يَتمسَّكَ بالإسلامِ في حَياتِه لِيَموتَ عليه، كما قال تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٣]، أي: اتَّقوا اللهَ بفِعْلِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيهِ، وحافِظوا على الإسلامِ في حالِ صِحَّتِكم وسَلامَتِكم لِتَموتوا عليه؛ فإنَّ الكَريمَ قدْ أجْرى سُنَّتَه بكَرَمِه أنَّه مَن عاشَ على شَيءٍ ماتَ عليه، ومَن ماتَ على شَيءٍ بُعِثَ عليه، فمَن مات على الصَّلاةِ بُعِثَ على الصَّلاةِ، ومَن مات على الحجِّ بُعِثَ على الحجِّ، ومَن مات على الجِهادِ بُعِثَ على الجِهادِ، ومَن مات على الفِسقِ والفُجورِ والعِصيانِ بُعِثَ عليها، وهَذا عامٌّ في كلِّ صورةٍ وَمعنًى؛ فعَلَى كلِّ إنسانٍ أنْ يَحرِصَ على أنْ يَموتَ على خَيرِ الأحوالِ، وفي هذا حثٌّ على دَوامِ عَملِ الصَّالحاتِ والخيراتِ؛ فإنَّه لا يَدْري أحدٌ متَى يموتُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٤٤) برقم (٢٨٨٦). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

(٢) لم أقف عليه عن ابن القيم رحمه الله، لكن ذكر الذهبي كما في كتابه الكبائر (ص: ٩١). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة — بيروت.

(٣) آل عمران: ١٠٢.



١٣ ذي القعدة

لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال لي النبي- صلى الله عليه وسلم: لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق[١].

وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي- رضي الله عنه- قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسول الله؛ إنَّا قومٌ من أهل البادية؛ فعلِّمْنا شيئًا ينفعُنا الله تبارك وتعالى به، قال: لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغِ من دلوك في إناء المستسقِي، ولو أن تُكلِّم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإيَّاك وتسبيلَ الإزار؛ فإنَّه من الخيلاء، والخيلاء لا يُحبُّها الله عزَّ وجلَّ، وإنِ امرؤ سبَّك بما يعلم فيك؛ فلا تسبَّه بما تعلم فيه، فإنَّ أجره لك، ووباله على مَن قال[٢].

يُبيِّنُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ المسلِمَ لا يَجِبُ عَليهِ أنْ يَحقِرَ، أي: يُقلِّلَ منَ المعروفِ، أي: مِن فِعلِ الخيرِ؛ شيئًا ولَو أنْ يَلقَى أَخاهُ المسلمَ بوَجهٍ "طَلْقٍ"، أي: ضاحكٍ مُستبشِرٍ، وليسَ بوَجهٍ عَبوسٍ مُكفهِرٍّ.

ينهى الرسولُ صلى الله عليه وسلم المسلمَ عن التقليل من شأن المعروف، أيًّا كان مقداره؛ فإنَّ الله تعالى يُحِبُّ المعروف كلَّه قليله وكثيره؛ فلذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على فعْل المعروف بجميع أنواعه ولا يحتقر منه شيئًا، فلربما كانت نجاته في عملٍ يسيرٍ؛ فعن عدي بن حاتم- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة" متفق عليه[٣].

والمعروف: هو ما عُرِف بالشرع أنَّه من الخير؛ فيدخل في عموم هذا الحديث ما لا يُحصَى من الأعمال الصالحة التي ينبغي على المسلم أن يحرص على فعْلها بنفسه، أو الإعانة على فعْلها بنفسه أو بماله، أو برأيه، أو بولده أو بخادمه، أو بغير ذلك من الوسائل؛ إذ كل ذلك من المعروف الذي يشمله هذا الحديث.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥/ ٣٠٩) برقم (١٥٩٥٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٥٦) برقم (٤٠٨٤) كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٩٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠٢٣) كتاب الأدب باب طيب الكلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤) برقم (١٠١٦) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.



والعمل اليسير من المعروف قد يكون كبيرًا عند الله عزَّ وجلَّ، وذلك بحسب ما قام بالعمل أو العامل من الأحوال، فلربَّما عظُم العمل بسبب النِّيَّة الصالحة؛ كما قال عبد الله بن المبارك- رحمه الله: رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمه النِّيَّة، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّره النِّيَّة(١)، أو لأنَّ ذلك غاية ما يستطيعه العامل، أو لأنَّه آثر به مع حاجته، ولربَّما كان سبب التعظيم ما قارنه من شدَّة حال العمل، كما لو كان العمل مُتعلِّقًا بشدَّة حاجة الشخص، أو كان زمن أو موضع حاجة، أو بسبب قرابة مُحتاج ونحو ذلك؛ فإنَّ العمل في مثل هذه الأحوال يتضاعف ويعظم أجره عند الله عزَّ وجلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾(٢).

وعن أنس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" إن قامتِ الساعةُ وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع ألَّا تَقومَ حتَّى يَغرِسَها؛ فليَغرِسْها" رواه أحمد(٣).

وعَنْ أَبِي ذَرَ- رضي الله عنه- أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ:" أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهِ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رواه مسلم(٤).

وفي الحديث دلالة على أنَّ مفهوم الصدقة مفهوم واسع لا يقتصر على الأموال فقط، وإنَّما كل معروف صدقة، فقد تكون الصدقة بالأقوال كالتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تكون بالأفعال كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (فإنَّ مِنَ المنكر ما يتغيَّر باليد)، وإماطة الأذى، وإعانة الرجل في حمل متاعه، والخُطا إلى الصلوات كلُّها صدقات، وقد تكون الصدقة بالنِّيَّات، ومن ذلك احتساب المباحات؛ كالجماع وما فيه من إعفافٍ للزوجين،

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧١).

(٢) البلد: ١١-١٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٢٥١) برقم (١٢٩٠٢). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٧) برقم (١٠٠٦) كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.



وهذه الأنواع الثلاثة من الصدقة جاءت في حديث الباب، وما أعظم فضل الله عزَّ و جلَّ علينا، فكلُّ معروفٍ صدقةٌ.

فبالعمل اليَسِير بُشِّر بلالُ بن رباح بالجنَّة؛ قال صلى الله عليه وسلم:" يا بلال؛ حدِّثني بأرجَى عملٍ عملته في الإسلام؛ فإنِّي سمعتُ دَفَّ نعلَيْكَ بين يديَّ في الجنَّة، قال بلال: ما عمِلتُ عمَلًا أرجَى عندي منفعةً من أنِّي لا أتطهَّر طُهورًا في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ؛ إلَّا صلَّيتُ بذلك الطُّهور ما كتَب الله لي أنْ أصلِّي" رواه البخاري(١).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" بينَما رجلٌ يمشِي بطريقٍ وجَد غُصنَ شوكٍ على الطريق فأخَّرَه، فشَكَر اللهُ له فغُفِرَ له" متفق عليه(٢). وروى أيضًا أبو هريرة- رضي الله عنه- عن حبيبنا صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" بينما كلبٌ يطيف بركِيَّة قد كاد يقتُلُه العطَش، إذ رأَتْه بغيٌّ من بَغايا بني إسرائيل، فنزَعَتْ مُوقَها (أي: خُفَّهَا) فاستَقَتْ له به، فسقَتْه إيَّاه، فغُفِر لها به" متفق عليه(٣).

وهذا رجلٌ من الأُمَم السابقة نبَّأنا خبرَه نبيُّنا صلى الله عليه وسلم فقال:" تلقَّت الملائكةُ رُوحَ رجلٍ ممَّن كان قبلَكم، فقالوا: أعمِلتَ من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تذكَّر، قال: كنتُ أُداينُ الناسَ فآمُرُ فِتياني أنْ يُنظِروا المعسِر، ويتجوَّزوا عن الموسِر، فقال الله عزَّ وجلَّ: تجوَّزوا عنه" متفق عليه(٤).

وبالعملِ الصّادِقِ اليسيرِ فازَت أمُّ مِحجَن- رضي اللهُ عنها- بصلاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ودعائِه لها، وهي المرأةُ السوداءُ البسيطَةُ المغمُورَةُ التي كانت تقُمُّ وتُنظِّف المسجد، لم يكن اسمُها ممَّا تَتَدَاوَله الألسُن، ولم يكن عمَلُها محطَّ أنظارِ النّاس، ولكنَّه عملٌ قد أهمَّ هذه المرأةَ حتَّى فرَّغت له وقتَها، واستَفرَغت لأجلِه طاقتها بكلِّ إخلاصٍ، حتَّى ودَّعتْ دُنياها، وفارَقتْ باللّيل، فبادَرُوا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣) برقم (١١٤٩) كتاب التهجد باب فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩١٠) برقم (٢٤٥٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل بلال رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٢) كتاب الأذان باب فضل التهجير إلى الظهر. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢١) برقم (١٩١٤) كتاب الإمارة باب بيان الشهداء.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٣) برقم (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٥) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٧) كتاب البيوع باب من أنظر معسرًا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٩٤) برقم (١٥٦٠) كتاب المساقاة باب فضل إنظار المعسر.



بتَجهيزها، ثم الصلاةِ عليها ودفنوها ليلًا؛ دون أن يُخبِروا المصطَفَى صلى الله عليه وسلم. ثم مضَتْ أيَّام وأيَّام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى هذه المرأة، فسأل عنها اهتِمامًا بها، وإكبارًا لشأنها، فأُخبِر بوَفاتها، فقال: أفلا كنتُم آذَنتُموني، فكأنَّ الناس صغَّروا أمرَها، فقال صلى الله عليه وسلم: دُلُّوني على قَبرِها، فدلُّوه، فوقَف على قبرِها، وصلَّى عليها، ودعا لها وقال:" إنَّ هذه القُبُورَ مملوءَةٌ ظلمَةً على أهلِها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُنوّرُها بصَلاتِي عليهم" رواه مسلم[1].

والخلاصة: لا تستَصغرْ ثوابَ الشَّفاعةِ الحسنة، ولا قَضاء حوائجِ النّاسِ البسيطة، ولا مُواسَاة مكلوم، أو تعزية مُصاب، أو تشييع جنازة، أو عِيادة المرضَى، أو إنظار المعِسرين، فما يُدريكَ؟ لعلَّ مع ذلكَ العملِ سعادَتُك ونجاتُك في دُنياكَ وأُخراك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٩) برقم (٤٥٨) كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٥٩) برقم (٩٥٦) كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر.



١٤ ذي القعدة

وغرَّتْكمُ الحياةُ الدنيا

كثيرٌ من الناس اليوم شغلتْهم الدنيا عن الآخرة، فمنهم مَن اشتغل بجمْع الأموال وتنميتها وضيَّع ما أوجب الله عليه من الصلوات والعبادات، ومنهم مَن اشتغل بالتمتُّع بها وإعطائه نفسَه ما تشتهي من ملاذها وشهواتها، فأترف فيها ونسي الآخرة وصار يكره ذكرها ويستثقل الحديث عنها، وهؤلاء يعتبرون التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة من باب التغفيل؛ لتمكُّن الدنيا من قلوبهم وغفلتهم عن الآخرة، فاتقوا الله– عبادَ الله– واستعدُّوا للقاء الله. ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

والآيات الواردة في القرآن الكريم في التحذير من الاغترار بالدنيا وبيان سرعة زوالها وضرب الأمثال لها كثيرة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن مصير مَن رضي بها وأرادها وحدها وأعرض عن الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الدنيا سجنُ المؤمن وجنَّةُ الكافر" رواه مسلم[٤]، وفي حديث آخر:" لو كانت الدنيا تعدِلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء" رواه الترمذي[٥].

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز– رحمهما الله– فقال: أما بعد؛ فإنَّ الدنيا دار ظعن وليست بدار مقام، وإنَّما أُنزلَ إليها آدم عقوبة فاحذرْها يا أمير المؤمنين، فإنَّ الزاد منها تَرْكُها،

---

(١) العنكبوت: ٥-٦.

(٢) يونس: ٧-٨.

(٣) هود: ١٥-١٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٦٠) برقم (٢٣٢٠) أبواب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٦) برقم (٤١١٠) كتاب الزهد باب مثل الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٩٩).



والغنى فيها فقرها، تُذلُّ مَن أعزَّها، وتُفقر مَن جمعها، كالسمِّ يأكله مَن لا يعرفه وهو حتفه، فاحذرْ هذه الدار الغرَّارة الخدَّاعة، وكن أسرَّ ما تكون فيها؛ أحذرَ ما تكون لها، سرورها مشوبٌ بالحزن، وصَفْوها مَشُوبٌ بالكدر، فلو كان الخالق لم يُخبِرْ عنها خبرًا، ولم يضربْ لها مثلًا، لكانت قد أيقظت النائم، ونبَّهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عزَّ وجلَّ عنها زاجر، وفيها واعظ، وقد عُرِضَتْ على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وكره أن يُحبَّ ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضعه مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظنُّ المغرور بها، المقتدر عليها؛ أنه أُكْرِم بها؟! ونسي ما صنع الله بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم حين شدَّ على بطنه الحجر(١). والله ما أحد من الناس بُسِطَ له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مُكِرَ به؛ إلَّا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

إنَّ الاغترار بالدنيا والتنافُس عليها طريقٌ للهلاك، وسبيلٌ للخسران؛ فعن المسور بن مخرمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين، فسمعتِ الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: أظنُّكم سمعتم أنَّ أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال:" أبشروا، وأمِّلوا ما يسرُّكم، فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم، كما بُسِطَتْ على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم" متفق عليه(٢).

وأصل التنافُس: التسابُق إلى الشيء أيُّهم يأخذه أوَّلًا، وكأنَّه كثُرَتِ الرغبة في الشيء، وهو أوَّل أبواب التحاسُد. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أليس من أجل الدنيا وحطامها يقتتل الناس اليوم؟ أليس من أجلها تُقطع الأرحام، ويُعادي الأخُ أخاه، والابنُ أباه؟ أليس من أجلها نكذب ونُزوِّر ونُخادِع؟ فأي هلاك أعظم من هذا الهلاك؟

---

(١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢٧). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٦) برقم (٣١٥٨) كتاب الجزية باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.



وعن مطرف عن أبيه قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾[1]، قال:" يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ" رواه مسلم[2]؛ أي: أنَّ ما تصدَّقت به هو الذي يبقى، وما سواه فيفنى ويزول؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[3].

يقول العلَّامة ابن القيم- رحمه الله- في كتابه (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي): وأعظم الخلق غرورًا مَن اغترَّ بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة، ورضي بها من الآخرة، حتَّى يقولَ بعض هؤلاء: الدنيا نقْدٌ، والآخرة نسيئة، والنقد أحسن من النسيئة. ويقول بعضهم: ذرة منقودة، ولا درة موعودة. ويقول آخر منهم: لذات الدنيا مُتيقَّنة، ولذات الآخرة مشكوكٌ فيها، ولا أدع اليقين بالشك. وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله، والبهائم العجم أعقل من هؤلاء؛ فإنَّ البهيمة إذا خافت مضرَّة شيءٍ لم تُقدِم عليه ولو ضُرِبَتْ، وهؤلاء يقدم أحدهم على ما فيه عطبه، وهو بين مُصدِّقٌ ومُكذِّبٌ. فهذا الضرب إن آمن أحدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء؛ فهو مِن أعظم الناس حسرةً، لأنَّه أقدم على علم، وإن لم يؤمن بالله ورسوله فأبعد له.

وقول هذا القائل: النقد خيرٌ من النسيئة. جوابه أنَّه إذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير، وإن تفاوتا وكانت النسيئة أكبر وأفضل فهي خير، فكيف والدنيا كلُّها مِن أوَّلها إلى آخرها كنفَسٍ واحدٍ من أنفاس الآخرة؟ كما في مسند أحمد والترمذي من حديث المستورد بن شدَّاد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الدنيا في الآخرة إلَّا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم؛ فلينظر بم يرجع؟

فإيثار هذا النقد على هذه النسيئة، من أعظم الغبن وأقبح الجهل، وإذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها إلى الآخرة، فما مقدار عمر الإنسان بالنسبة إلى الآخرة، فأيُّهما أولى بالعاقل؟ إيثار العاجل في هذه المدَّة اليسيرة، وحرمان الخير الدائم في الآخرة، أم ترْك شيءٍ حقيرٍ صغيرٍ مُنقطعٍ عن قُرْبٍ، ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له، ولا نهاية لعدده، ولا غاية لأمده؟

---

(١) التكاثر: ١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) المزمل: ٢٠.



وأمَّا قول الآخر: لا أترك مُتيقَّنًا لمشكوكٍ فيه، فيُقال له: إمَّا أن تكون على شكٍّ من وعد الله ووعيده وصدْق رسله، أو تكون على يقين من ذلك، فإن كنتَ على اليقين فما تركتَ إلَّا ذرةَ عاجلةَ مُنقطعةَ فانيةَ عن قربٍ، لأنَّه مُتيقَّنٌ لا شكَّ فيه ولا انقطاع له[١].

هِيَ الدُّنيا تقولُ بملْءِ فيها حذارِ حذارِ مِن بطشي وفتكي
فلا يغرركمـــو مِنّي ابتســـامٌ فقولي مُضْحِكٌ والفعلُ مُبكي[٢]

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٣٦). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

(٢) ينظر: اللطائف والظرائف (ص: ١٨). اللطائف والظرائف، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت.



١٥ ذي القعدة

قصة قارون (والدروس المستفادة منها)

قصَّ الله علينا في كتابه الكريم العديد من القصص القرآني، منها قصَّة قارون المذكورة في سورة القصص، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

قال ابن عبَّاس– رضي الله عنهما–: كان قارون ابن عمِّ موسى، وهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث. قال قتادة: وكان يُسمَّى المنوَّر، لحُسْن صوته بالتوراة. ولكنَّ عدوَّ الله نافقَ كما نافقَ السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله[٢].

وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرًا طولًا ترفُّعًا على قومه، وقد ذَكَرَ الله تعالى كثرة كنوزه، حتَّى أنَّ مفاتيحه كان يثقُلُ حملها على الفئام من الرجال الشداد.

وقد قيل: إنَّها كانت من الجلود، وإنَّها كانت تُحمَل على سِتِّين بغلًا، فالله أعلم.

وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين: لا تفرحْ أي: لا تبطرْ بما أُعطيت وتفخرْ على غيرك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ ﴾ يقولون له: لتكنْ همَّتُك مصروفةً لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة، فإنَّه خيرٌ وأبقى، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي: وتناولْ منها بمالِكَ ما أحلَّ الله لك، فتمتَّعْ لنفسك بالملاذ الطَّيِّبة الحلال.

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ أي: وأحسِنْ إلى خلْق الله كما أحسن اللهُ خالقُهم إليك.

---

(١) القصص: ٧٦–٨٣.

(٢) ينظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٥٦).



﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي: ولا تُسيءْ إليهم، ولا تُفسدْ فيهم، فتقابلهم ضدَّ ما أُمِرْتَ فيهم، فيُعاقبُك ويسلبُك ما وهبك. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

فما كان جوابه لهذه النصيحة إلَّا أن قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ يعني: أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشرتم، فإنَّ الله إنَّما أعطاني هذا، لعلمه أنِّي أستحقُّه، وأنِّي أهلٌ له، ولولا أنِّي حبيبٌ إليه وحَظِيٌّ عنده؛ لَمَا أعطاني ما أعطاني.

فقال الله تعالى ردًّا عليه: ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ أي: قد أهلكْنَا- من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم- مَن هو أشدُّ من قارون قوةً وأكثر أموالًا وأولادًا، فلو كان ما قال صحيحًا لم نُعاقِبْ أحدًا ممَّن كان أكثرَ مالًا منه، ولم يكن مالُه دليلًا على محبَّتنا له واعتنائنا به. كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[(٢)]، وهذا الردُّ عليه يدلُّ على صحَّة ما ذهبنا إليه من معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي ﴾ ذكر كثيرٌ من المفسِّرين: أنَّه خرج في تجمُّلٍ عظيمٍ من ملابس، ومراكب، وخدم، وحشم، فلمَّا رآه مَن يُعظِّم زهرة الحياة الدنيا، تمنَّوا أن لو كانوا مثله، وغبطوه بما عليه وله، فلمَّا سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألبَّاء؛ قالوا لهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ أي: ثواب الله في الدار الآخرة خيرٌ وأبقى، وأجلُّ وأعلى.

ثمَّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ أي: وما يُلقَّى هذه النصيحة، وهذه المقالة، وهذه الهِمَّة السامية، إلى الدار الآخرة العليَّة عند النظر إلى زهرة هذه الدُّنيا الدَّنيَّة، إلَّا مَن هدى الله قلبه، وثبَّت فؤاده، وأيَّد لُبَّه، وحقَّق مُراده، وما أحسن ما قال بعض السلف: إنَّ الله يُحبُّ البصر النافذ عند ورود الشبهات، والعقل الكامل عند حلول الشهوات.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ لما ذَكَرَ تعالى خروجه في زينته واختياله فيها، وفخره على قومه بها، قال: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾.

---

(١) سبأ: ٣٧.

(٢) المؤمنون: ٥٥-٥٦.



كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بينا رجلٌ يَجُرُّ إزاره إذ خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"(١).

وقد ذكر ابن عبَّاس- رضي الله عنه- والسدي: أنَّ قارون أعطى امرأة بغيًا مالًا على أن تقول لموسى- عليه السلام- وهو في ملأٍ من الناس: إنَّك فعلتَ بي كذا وكذا.

فيُقال: إنَّها قالتْ له ذلك، فارعدَّ من الفرق، وصلَّى ركعتين، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه، فذكرتْ أنَّ قارون هو الذي حملها على ذلك، واستغفرتِ الله وتابتْ إليه، فعند ذلك خرَّ موسى لله ساجدًا، ودعا اللهَ على قارون، فأوحى اللهُ إليه أنِّي قد أمرتُ الأرض أن تُطيعكَ فيه، فأمر موسى الأرضَ أن تبتلعَه ودارَه، فكان ذلك، فالله أعلم.

وقد قيل: إنَّ قارون لما خرج على قومه في زينته، مرَّ بجحفله، وبغاله، وملابسه على مجلس موسى- عليه السلام-، وهو يُذكِّر قومه بأيام الله.

فلمَّا رآه الناس انصرفتْ وجوه كثيرٍ من الناس ينظرون إليه، فدعاه موسى- عليه السلام-، فقال له: ما حملك على هذا؟

فقال: يا موسى؛ أما لئن كنتَ فُضِّلتَ عليَّ بالنُّبوَّة، فلقد فُضِّلتُ عليك بالمال، ولئن شئتَ لتخرجَنَّ فلتدعونَّ عليَّ، ولأدعونَّ عليك.

فخرج، وخرج قارون في قومه، فقال له موسى: تدعو أو أدعو؟

قال: أدعو أنا، فدعا قارون فلم يُجَبْ في موسى.

فقال موسى: أدعو؟

قال: نعم.

فقال موسى: اللهمَّ مُرِ الأرضَ فلْتُطعْني اليوم، فأوحى الله إليه إنِّي قد فعلتُ، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتْهم إلى أقدامهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتْهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم، فأقبلتْ بها حتَّى نظروا إليها، ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بني لاوى فاستوتْ بهم الأرض.

وقد روي عن قتادة أنَّه قال: يُخسَفُ بهم كلَّ يومٍ قامة إلى يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤١) برقم (٥٧٩٠) كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء.



وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنه- أنَّه قال: خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة، وقد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين ههنا إسرائيليات كثيرة أضربْنا عنها صفحًا، وتركناها قصدًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ لم يكن له ناصرٌ من نفسه ولا من غيره، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[1].

ولما حلَّ به ما حلَّ من الخسف، وذهاب الأموال، وخراب الدار، وإهلاك النفس والأهل والعقار؛ نَدِمَ مَن كان تمنَّى مثلَ ما أُوتي، وشكروا الله تعالى الذي يُدبِّر عباده بما يشاء من حُسْن التدبير المخزون، ولهذا قالوا: ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقد قال قتادة: ويكأنَّ بمعنى: ألم تر أنَّ. وهذا قولٌ حَسَنٌ من حيث المعنى.

ثم أخبر تعالى أنَّ الدار الآخرة- وهي دار القرار- وهي الدار التي يُغبَط مَن أُعطيها، ويُعزَّى مَن حُرِمَها، إنَّما هي سعادةٌ للذين لا يُريدون عُلوًّا في الأرض ولا فسادًا، فالعلوُّ هو: التكبُّر، والفخر، والأشر، والبطر، والفساد: هو عمل المعاصي اللازمة، والمتعدية من أخْذِ أموال الناس، وإفساد معايشهم، والإساءة إليهم، وعدم النُّصْح لهم. ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقد ذكر الله تعالى مذمَّة قارون في غير ما آية من القرآن فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3].

فالذي خُسِفَ به الأرض قارون كما تقدَّم، والذي أُغْرِقَ: فرعون وهامان وجنودهما.

وختامًا فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه ذكر الصلاة يومًا فقال:" مَن حافظَ عليها كانتْ له نورًا وبُرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم

---

(١) الطارق: ١٠.

(٢) غافر: ٢٣-٢٤.

(٣) العنكبوت: ٣٩-٤٠.



يُحافِظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا بُرهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأُبيِّ بن خلف"[(١)][(٢)].

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٤١) برقم (٦٥٧٦). والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ١٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) ينظر هذا الشرح والبيان في: البداية والنهاية (٢/ ٢٠٢– ٢٠٨). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.



١٦ ذي القعدة

فضْل الذِّكْر وأهمِّيَّته في حياة المسلم

مَن أحبَّ شيئًا أكثر مِن ذِكْره، وأدام الحديث عنه، فمَن أحبَّ التجارة وجنى بسببها المال الكثير، وذاق حلاوة الأرباح؛ تجده دائم الحديث عن تجارته، ومَن أحبَّ الرياضة تجده من المكثرين في الحديث عن المباريات والدوريات ونجوم الرياضة وأخبارهم وتنقُّلاتهم بين الأندية، وكذلك مَن استهواه الفنُّ والمسلسلات والأفلام، فهو مشغول الوقت والذهن بمتابعة كلِّ جديدٍ والحديث عنه، أمَّا أهل الصِّدْق والدِّين والإيمان فلهم شأنٌ آخَر، فهُم يُحبُّون ربَّهم وخالقَهم ورازقَهم، ويحرصون على كلِّ ما يُرضيه، ويرفع درجتهم عنده، ويُعلي مِن مقامهم لديه؛ لذا يُكثرون مِن ذِكْره.

وذِكْر الله كثيرًا من علامات حُبِّ الله. قال بعض العلماء: علامة حُبِّ الله كثرة ذِكْره. فإنَّك لن تُحبَّ شيئًا إلَّا أكثرتَ مِن ذِكْره.

وكما أخبر الله تعالى أنَّ الإكثار من ذِكْره سببٌ للفلاح والفوز بالرضوان؛ أخبرَ أنَّ الّذي يُلهيه مالُه وولدُه عن ذكْر الله يبوء في الدنيا والآخرة بالخسران. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1]. تلكم حال الذين أعرضوا عن ذِكْرِ الله؛ ما كانوا إلَّا قومًا بُورًا، يتصرَّفون بغير هُدًى، ويتقلَّبون في الأرض بدوافع الهوى. نسُوا الله فأنساهم أنفسهم؛ والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[2].

فذِكْرُ الله سبحانه وتعالى مِن أفضلِ الأعمال التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها، وتتجلَّى أهمِّيَّته ودوره في عِدَّة أمور؛ منها:

أنَّه يطرد وساوس الشيطان ويُبعِدها عن العبد.

القضاء على الهموم والأحزان، ويجلب السرور والسعادة للمؤمن.

سببٌ في قُوَّة القلب والبدن، وجلب الرزق والكسب الحلال.

يمنح المسلم المحبَّة لربِّه ومولاه، ويرزقه المهابة والخشية.

يجعل المؤمن في استحضارٍ دائمٍ لمراقبة الله تعالى له، فيرتقي العبد إلى مرتبة الإحسان.

---

(١) المنافقون: ٩.

(٢) الحشر: ١٩.



يُعتبَر الذِّكْر سببًا في ذكْر الله سبحانه لعبده.

يكون سببًا في نزول الرحمة والسكينة من الله على قلب المؤمن.

غراس المؤمن في جنات النعيم.

يُعتبَر سببًا في صلاة الله على عبده وثنائه عليه بين ملائكته.

يُصنَّف بأنَّه علاج لقسوة القلب.

يقي المؤمن من نسيان الله سبحانه وتعالى.

وهل تُشترَط الطهارة عند الذِّكر؟ لا خلاف بين أهل العلم على عدم اشتراط الطهارة للذِّكْر سواء من الحدث الأصغر أو الحدث الأكبر، فيصحُّ ذكْرُ الله على كلِّ حالٍ حتَّى ولو كان المسلم على جنابة، لحديث عائشة- رضي الله عنها-: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يذكرُ اللهَ على كلِّ أحيانِه. رواه البخاري[١].

وتأتي أهمية الذِّكْر أيضًا من كونه الرافد الدائم للمخزون الإيماني، والمحرِّك الموقظ لدواعي الطاعة، والحصن الذي يلوذ به المؤمن حينما تُداهمه المصائب، وتعترضه عقبات الطريق، ويُقعِده طائف الشيطان ولماته، إنَّ العبد حينما يكون ذاكرًا لله في كلِّ أحيانِه قد شغل نفسه، وألزمها بأذكار وأوراد من تسبيح وتحميد، وتهليل وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومداومة على المسنون من الأذكار؛ فإنَّ ذلك يُبقِي قلبه حيًّا، ويُديم إيمانه نضرًا يقظًا، فإذا ما اعترتْه أهواء النفس البشرية التي بين جنبيه، أو اجتالتْه الشياطين التي لا تفترُ عن مُحاربته وعداوته؛ انتفض ذلك القلبُ الذاكرُ شامخًا بإيمانه، مُستعليًا على شهوات نفسه، مُدافعًا لنفثات الشيطان وهمزاته.

وحاجة المسلم إلى مجالس الذِّكر والتذكير كحاجة السَّمك إلى الماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:" الذِّكْر للقلب مثلُ الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"[٢] لأنَّه محلُّ الحياة لها، وكذلك فإنَّ حياة القلوب وتزكيتها وطهارتها تكون بملازمة تلك المجالس، وترويض النفس على المداومة على الأذكار والأدعية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَثَلُ الذي يذكُرُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (١/ ١٢٩) كتاب الأذان باب: هل يتتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا، وهل يلتفت في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٨٢) برقم (٣٧٣) كتاب الحيض باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها.

(٢) نقله عنه تلميذه ابن القيم كما في الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.



ربَّه، والذي لا يذكُرُ ربَّه؛ مثلُ الحيِّ والميِّتِ" متفق عليه[١]، وفي رواية:" مَثَلُ البيتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيتِ الذي لا يُذكَرُ اللهُ فيه؛ مَثَلُ الحيِّ والميِّت" رواه مسلم[٢].

واللسان الغافل عن ذِكْر الله تعالى كاليد الشلَّاء، أو العين العمياء، أو الأذن الصمَّاء؛ أعضاءٌ مُعطّلة عن فِعْل ما خُلِقتْ لأجله، فكيف تستنير بصيرةٌ إن لم يكن لها من مدد القلوب وغِياثِها؟ ولذلك وصف العلماء الذِّكْر للقلب بالقوت؛ متى حُرِمت الأجساد منه صارت قبورًا، وجعلوه بمثابة السلاح الذي يُقاتِل به أصحابه قُطَّاع الطريق، والماء الذي يُطفِئون به نار الحريق، ودواء الأسقام الذي متى فارقَهم انتكستْ منهم القلوبُ، فضلًا عن كونه السببَ الواصلَ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب.

من هنا نفهم سرَّ اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الذِّكْر، وبيان فضائله المرَّةَ تلو الأخرى، روى أبو الدرداء- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق (الفضَّة)، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، فقال صلى الله عليه وسلم:" ذِكْر الله تعالى" رواه الترمذي[٣].

وعن عبد الله بن بُسر- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ شرائع الإسلام قد كَثُرتْ عليَّ، فأخبرْنِي بشيءٍ أتشبَّثُ به، فقال صلى الله عليه وسلم:" لا يزالُ لسانُكَ رطبًا من ذكر الله" رواه الترمذي وابن ماجه[٤].

وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: لكلِّ شيءٍ جلاءٌ، وإنَّ جلاء القلوب ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ[١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٩) برقم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٣) برقم (٢١٧٠٢). والترمذي في سننه (٥/ ٤٥٩) برقم (٣٣٧٧) أبواب الدعوات باب منه. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٥) برقم (٣٧٩٠) كتاب الأدب باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٠٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٢٦) برقم (١٧٦٨٠). والترمذي في سننه (٥/ ٤٥٧) برقم (٣٣٧٥) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٦) برقم (٣٧٩٣) كتاب الأدب باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٢)



ولا ريب أنَّ القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذِّكْر، فإنَّه يجلوه حتَّى يدعه كالمرآة البيضاء. فإذا ترك الذِّكْرَ صَدِئ، فإذا ذكره جلَّاه.

و صدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذِّكْر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٢].

وختامًا؛ أفضل الذِّكْر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنَّما كان ذِكْر القلب وحده أفضل من ذِكْر اللسان وحده؛ لأنَّ ذِكْر القلب يُثمِر المعرفة بالله، ويُهيِّج المحبَّة، ويُثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسَّيِّئات، وذِكْرُ اللسان وحده لا يُوجب شيئًا من هذه الآثار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرة ضعيفة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٣) برقم (٥٢٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) الكهف: ٢٨.



١٧ ذي القعدة

أذكار دُبُرِ الصَّلاة

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[١].

يقول الإمام السعدي- رحمه الله- في تفسيره: أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خُصَّت صلاة الخوف بذلك لفوائد؛ منها: أنَّ القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإنابة إلى الله تعالى في المحبَّة وامتلاء القلب من ذِكْره والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به هذا المقصود؛ الصلاة، التي حقيقتها أنَّها صلة بين العبد وبين ربِّه. ومنها: أنَّ فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كلَّ يومٍ وليلة. ومن المعلوم أنَّ صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذِّكْر بعدها. ومنها: أنَّ الخوف يُوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنَّة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذِّكْر لله والإكثار منه من أعظم مُقوِّيات القلب. ومنها: أنَّ الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سببٌ للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٢]، فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحِكَم[٣].

وقال العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: يُشرَع للمؤمن والمؤمنة بعد السلام من الصلاة- صلاة الفريضة الفجر أو الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء- أن يقول بعد السلام مباشرة: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله، أستغفرُ الله؛ ثلاث مرَّاتٍ، اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، لما روى مسلم في الصحيح عن ثوبان- رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه إذا سلَّم يستغفر ثلاثًا- يعني: يقول: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله، أستغفرُ الله-، ثم يقول:" اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام"[٤]، هذه هي السُنَّة للإمام والمأموم والمنفرد

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.



والرجل والمرأة، وإذا كان إمامًا ينصرف إلى الناس بعد هذا، بعد ما يقول: اللهم أنت السلام .. إلى آخره، ينصرف إلى الناس ويعطيهم وجهه إذا كان إمامًا، ثم يقول كلُّ واحدٍ بعد هذا: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، لا إله إلَّا الله، ولا نعبد إلَّا إيَّاه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحَسَن، لا إله إلَّا الله، مُخلِصين له الدين ولو كره الكافرون. رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الزبير[(١)]- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يفعل هذا بعد كلِّ صلاةٍ- عليه الصلاة السلام- إذا أقبل على الناس، زاد المغيرة - رضي الله عنه- في روايته كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقول مع هذا: اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ[(٢)]. كلُّ هذا مُستحَبٌ بعد الصلوات الخمس، ويُستحّبُ أن يزيد بعد المغرب والفجر:"لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير" عشر مرَّاتٍ، هذه زيادة على ما تقدَّم، بعد المغرب وبعد الفجر كان النبي يقولها صلى الله عليه وسلم عشر مرَّاتٍ: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير، وإن قال زيادة:" بيده الخير، أو قال: وهو حيٌّ لا يموت"[(٣)] كلُّه طيِّبٌ، كلُّه جاء في بعض الأحاديث.

وهذا الذِّكْر جاء على عدَّة أنواع:- منها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير، بزيادة: يُحيي ويُميت.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٥) برقم (٥٩٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٨) برقم (٨٤٤) كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥١٥) برقم (٣٤٧٤) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٥) برقم (١٠٣٣٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات على إثر المغرب. والحديث حسنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٢١). وينظر أيضًا: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٢٩).



ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

كلُّ هذا بحمد الله مشروع طيِّب، إذا جاء بهذا أو هذا كلُّه طيِّبٌ والحمد لله، ثم يشرع له أيضًا أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرَّة؛ الرجل والمرأة، الإمام والمأموم والمنفرد، يُسبِّح الله ويحمده ويُكبِّره ثلاثًا وثلاثين، يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرَّة، ثم يقول تمام المائة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا:" مَن سبَّح الله دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعٌ وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، غُفِرتْ خطاياه وإن كانتْ مِثْلَ زبدِ البحرِ"[١] وهذا فضل عظيم.

وهذا عند أهل العلم إذا كان لم يُصِرَّ على كبيرةٍ، أمَّا إذا كان عنده كبائر من الذنوب كالزنا والسرقة والنميمة والغيبة؛ فإنَّ هذا الذِّكْر ونحوه لا يُكفِّر هذه الكبائر؛ لقوله- عليه الصلاة والسلام:" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ كفَّاراتٌ لما بينهن ما لم تُغشَ الكبائرَ، وفي لفظ: إذا اجتنب الكبائر" رواه مسلم في صحيحه[٢][٣].

ويُستحَبُّ أن يأتي مع هذا بآية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ..... ﴾[٤]، ثم يأتي بالسور الثلاث من آخر القرآن؛ الإخلاص والفلق والناس. يأتي بها مرَّة في الظهر والعصر والعشاء، وثلاث مرَّاتٍ في المغرب والفجر، هذه السور الثلاث، أمَّا آية الكرسي يأتي بها مرَّةً واحدةً بعد كلِّ صلاةٍ، وعند النوم، كلُّ هذا مشروعٌ ومُستحَبٌّ، وفيه خير كثير.

كان هذا أيضًا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم حيث علَّم فاطمة وعليًّا- كما رواه البخاري- أن يقولا: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثة وثلاثين مرة عند النوم[٥]، والتكبير يكون أربعًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٨) برقم (٥٩٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٩/ ٤٢- ٤٦).

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٤) برقم (٣١١٣) كتاب فرض الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل، حين سألته فاطمة، وشكت إليه الطحن والرحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.



ثلاثين، لكن بعد الصلاة إن شاء أربعًا وثلاثين تكبيرة، وإن شاء ختم المائة بـ "لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" لأنَّه ورد في الحديث الصحيح ختمها بلا إله إلَّا الله، وإن ختمها بالتكبير فقد جاء ذلك أيضًا.

والخلاصة: ما قاله الفقيه أبو زكريا النَّووي الشافعي- رحمه الله- في كتابه الأذكار: أجمَعَ العلماءُ على استحباب الذِّكْرِ بعد الصلاة، وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة، في أنواع مِنه مُتعدِّدة(١).

(١) الأذكار للنووي (ص: ٧٠). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.



١٨ ذي القعدة

أذكار النوم

أذكار قبل النوم لها فوائد عظيمة، منها تحصينٌ للنفس من شرِّ الشيطان وسائر المخلوقات، وشعور الإنسان بالطمأنينة والسكينة.

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العديد من الأذكار والأدعية التي يدعو بها المسلم قبل نومه، وفيما يأتي ذكرها:

أولًا: أذكار قبل النوم من القرآن الكريم: من السُّنَّة أن يقرأ الإنسان قبل نومه ما يأتي:

قراءة آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(١). خواتيم سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٢)، وقراءة سور الملك والكافرون والإخلاص والمعوِّذتين.

ثانيًا: أذكار قبل النوم من السُّنَّة النَّبويَّة: وقد حثّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الأدعية التي تُقال قبل النوم، ومنها ما يأتي:

"اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ" رواه البخاري(٣).

"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٨٥- ٢٨٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٨) برقم (٦٣١١) كتاب الدعوات باب إذا بات طاهرًا وفضله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليس بَعْدَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليس فَوْقَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ" رواه مسلم(١).

"ربِّ قِنِي عذابَكَ يوم تَبعثُ عبادَكَ" رواه الترمذي(٢).

"الحمدُ للهِ الذي أطعَمَنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكَم مِمَّنْ لَا كافِيَ له، ولا مُؤْوِيَ له" رواه مسلم(٣).

"سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بما تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ" رواه مسلم(٤).

"اللَّهُمَّ باسْمِكَ أحْيَا وأَمُوتُ" رواه البخاري(٥).

"بسم اللهِ وضعتُ جنبي، اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي، وأخْسئْ شيطاني، وفكَّ رِهاني، واجعلْني في النديِّ الأعلى" رواه أبو داود(٦).

"اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بوجهِكَ الكريمِ، وَكَلماتِكَ التَّامَّةِ، مِن شرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ، اللَّهمَّ أنتَ تَكْشِفُ المغرمَ والمأثمَ، اللَّهمَّ لَا يُهْزَمُ جندُكَ، ولَا يُخلَفُ وعدُكَ، ولَا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ، سُبحانَكَ وبحمدِكَ" رواه أبو داود(٧).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٥٩٢) برقم (١٨٦٣١). والترمذي في سننه (٥/ ٤٧١) برقم (٣٣٩٩) أبواب الدعوات باب منه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٧٧) برقم (١٠٥٢٠) كتاب عمل اليوم والليلة ما يقول إذا أوى إلى فراشه، وذكر اختلاف الناقلين للخبر عن أبي إسحاق في ذلك. ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٢) برقم (٧٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب يمين الإمام. وفي صحيح مسلم أنه مان يقوله عقب الصلاة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٥) برقم (٢٧١٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٠) برقم (٦٣٢٠) كتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١١٩) برقم (٧٣٩٤) كتاب التوحيد باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٣) برقم (٥٠٥٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقال عند النوم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٥١).

(٧) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٢) برقم (٥٠٥٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقال عند النوم. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٤) برقم (٧٦٨٥) كتاب النعوت، قوله سبحانه: "كل شيء هالك إلا وجهه". والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ٥٢). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



"اللّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسي، وَأَنْتَ تَوَفَّاها، لَكَ مَماتها وَمَحْياها، إِنْ أَحْيَيْتَها فاحْفَظْها، وَإِنْ أَمَتَّها فَاغْفِرْ لَها، اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافِيَة" رواه مسلم(١).

كذلك يُشرَع للمسلم أن يقول عند النوم:" أعوذ بكلمات الله التامَّات كلِّهنَّ من شرِّ ما خلق" رواه أبو داود(٢).

"باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" ثلاث مرَّات. رواه الترمذي(٣).

كذلك يقول: "اللهمَّ فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشركه، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي سوءًا أو أجرَّه إلى مسلم" رواه أبو داود والترمذي(٤).

"اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفرْ لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت" رواه البخاري(٥).

كما ورد أيضًا أن يقول قبل نومه: سُبْحَانَ اللَّهِ (٣٣ مرة) الْحَمْدُ لِلَّهِ (٣٣ مرة) اللَّهُ أَكْبَرُ (٣٤ مرة) . رواه البخاري(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٣) برقم (٢٧١٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون لفظة (كلهن): (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧٠٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. ورواه أبو داود في سننه (٤/ ١٣) برقم (٣٨٩٨) كتاب الطب باب كيف الرقى.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٨) برقم (٤٤٦). والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٥) برقم (٣٣٨٨) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٣) برقم (١٠١٠٦) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٦٩) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٣٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) برقم (٨١). وأبو داود في سننه (٤/ ٣١٦) برقم (٥٠٦٧) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٢) برقم (٣٥٢٩) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٧) برقم (٧٦٤٤) كتاب النعوت، الرب. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٦٢٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٤) برقم (٣١١٣) كتاب فرض الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل، حين سألته فاطمة، وشكت إليه الطحن والرحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.



ثم يجمع كفَّيه ثم ينفث فيهما ويقرأ سور الإخلاص والمعوَّذتين ويمسح ما استطاع من الجسد، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري[١].

وهناك أذكار لمن قلق في فراشه ولم ينم؛ فعن بريدة- رضي الله عنه- قال: شكا خالد بن الوليد- رضي الله عنه- إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ ما أنام الليل من الأرق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا أويتَ إلى فراشك فقل: اللهمَّ ربَّ السموات السبع وما أظلَّتْ، وربَّ الأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ الشياطين وما أضلَّتْ، كُنْ لي جارًا مِن خلقك كلِّهم جميعًا أن يفرطَ عليَّ أحدٌ منهم، أو أن يبغي عليَّ، عزَّ جارُكَ، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرُك، ولا إله إلَّا أنت" رواه الترمذي[٢].

وفي رواية:" أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" رواه أبو داود والترمذي وأحمد[٣].

وفي الختام؛ فإنَّ النوم على ذِكْر الله سبحانه وتعالى أمرٌ مُستحَبٌّ، أمَّا النوم دون ذِكْره فهو مكروه؛ والأصل أن يغلب النومُ المسلمَ بعد أن يغلب ذِكْر الله على قلبه؛ لأنَّ الذي يغلب على الشخص عند النوم هو ما كان عليه قبل نومه، فيكون المسلم بذلك مع الله؛ بِذِكْرِهِ في يقظته ونومه. وقد رُويتْ أحاديث تُبيِّنُ ذلك، منها ما جاء عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن قَعَدَ مَقْعدًا لم يَذكُرِ الله تعالى فيه كانتْ عليه من الله تِرَة، ومَنِ اضطجع مضجعًا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تِرَة" والتِّرَة هي النقص. رواه أبو داود[٤]، فينبغي على المسلم الإكثار من ذِكْر الله تعالى في كلِّ أحواله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٠) برقم (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٣٨) برقم (٣٥٢٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٥٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ١٠٨) برقم (١٦٥٧٣). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٨١) برقم (١٠٥٣٤) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٢٨).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٤) برقم (٤٨٥٦) كتاب الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٥) برقم (١٠١٦٤) كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلسًا لم يذكر الله تعالى فيه، وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٥٩).



١٩ ذي القعدة

أذكار الصباح والمساء

بترديد أذكار الصباح والمساء يحصل المسلم على الثواب العظيم من الله تعالى، فإنَّ من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تُقرِّب المسلم إلى ربِّه جلَّ وعلا؛ الذِّكْرُ، وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه الكريم، فقال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١).

وبيَّن الله تعالى في آية أخرى فضل الذكْر، وأنَّه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٢)، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٣).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ هُمْ خيرٌ منهم" رواه البخاري(٤).

وهناك أذكارٌ يُستحَبُّ للمسلم أن يُردِّدها في الصباح والمساء حتَّى ينال الفضل العظيم، ويحظى بحفظ الله تعالى له. منها:-

قراءة آية الكرسي: لأنَّ "مَن قالها حين يُصبح أُجيرَ مِن الجنِّ حتَّى يُمسي، ومَن قالها حين يُمسي أُجيرَ مِن الجنِّ حتَّى يُصبح" رواه النسائي(٥).

---

(١) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) البقرة: ١٥٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٠١) برقم (٥٤١). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١٧). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.



قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة (٢٨٥-٢٨٦)؛ لقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" الآيتانِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ؛ مَن قرَأ بهِما مِن ليلةٍ كفَتاه" رواه البخاري ومسلم[١].

قيل في (كفتاه) أنَّهما كفتاه كلَّ سُوءٍ، أو كفتاه شرَّ الشيطان، وقيل: إنَّهما أجزأتاه؛ أي أجزأتا قارئهما عن قيام الليل أو تلاوة القرآن، أو أجزأتاه في أمور الاعتقاد ممَّا يشتملان عليه من معاني الإيمان والأعمال الصالحة[٢].

قراءة سورة الإخلاص والمعوِّذتين (٣ مرَّات).

"اللّهمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إلهَ إلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَني وَأَنا عَبْدُك، وَأَنا عَلى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَن قَالَها مُوقِنًا بها حين يُمسي وماتَ مِن ليلته دخل الجنَّة، وكذلك حين يُصبح" رواه البخاري[٣].

"رَضيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيًّا. من قالها وجبت له الجنة" رواه أبو داود والنسائي[٤]. وفي رواية مسلم:" مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"[٥].

وفي رواية أحمد:" مَن قالَها حين يُصبحُ وحين يُمسي ثلاث مرَّاتٍ؛ كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة"[٦].

"اللّهُمَّ إِنِّي أَمسيتُ أُشْهِدُك، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِك، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَميعَ خَلْقِك؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إلهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَريكَ لَك، وَأَنَّ مُحَمّدًا عَبْدُكَ وَرَسولُك. مَن قالَها حين يُصبحُ إلَّا غفر الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٤) برقم (٤٠٠٨) كتاب المغازي باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤) برقم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٨٧) برقم (١٥٢٩) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧) برقم (٩٧٤٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال حين يصبح، وحين يمسي: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٠).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠١) برقم (١٨٨٤) كتاب الإمارة باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٠٢) برقم (١٨٩٦٧).

له ما أصاب في يومه ذلك. وإن قالَها حين يَمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة مِن ذنبٍ" رواه أبو داود والترمذي(١).

" اللّهُمَّ ما أَصبح بي مِنْ نِعْمَةٍ أَو بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِك؛ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شريكَ لَك، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْر" مَن قالها حين يُصبح فقد أدَّى شكر يومه، ومَن قالها حين يُمسي فقد أدَّى شُكر ليلته. رواه أبو داود والنَّسائي(٢).

" حَسْبِيَ اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم" من قالها سبعَ مرات؛ كفاه اللهُ ما أهمَّه ، صادقًا كان أو كاذبًا. رواه أبو داود(٣).

" بِسمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ وَهوَ السَّميعُ العَليم". من قالها ثلاث مرَّات لم يضرَّه من الله شيءٌ. رواه الترمذي(٤).

" اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَينا وَبِكَ أَصْبَحْنا، وَبِكَ نَحْيا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" رواه الترمذي(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٠) برقم (٥٠٧٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٥٢٧) برقم (٣٥٠١) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٩) برقم (٩٧٥٤) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر من القول، وثواب من قاله. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ٧٨). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٨) برقم (٥٠٧٣) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ 8) برقم (٩٧٥٠) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٤٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢١) برقم (٥٠٨١) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والحديث قال عنه الألباني: "منكر" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٤٤٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٨) برقم (٤٤٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٢٣) برقم (٥٠٨٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٥) برقم (٣٣٨٨) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٨١) برقم (١٠٥٣٤) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٦٩) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٣٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٧) برقم (٥٠٦٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٦) برقم (٣٣٩١) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٨) برقم (٩٧٥٢) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٢) برقم (٣٨٦٨) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٢٥).



" أَمْسَيْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ– صلى الله عليه وسلم–، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" رواه النسائي وأحمد[١].

" سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِه، وَرِضا نَفْسِه، وَزِنَةَ عَرْشِه، وَمِدادَ كَلِماتِه" رواه مسلم[٢].

" اللَّهُمَّ عافِنِي في بَدَني، اللَّهُمَّ عافِنِي في سَمْعي، اللَّهُمَّ عافِنِي في بَصَري، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ" رواه أبو داود[٣].

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْكُفر وَالفَقْر، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْر، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ" رواه أبو داود[٤].

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعافِيةَ في الدُّنْيا وَالآخِرَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعافِيةَ في ديني وَدُنْيايَ وَأهْلي وَمالي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عوْراتي وَآمِنْ رَوْعاتي، اللَّهُمَّ احْفَظْني مِن بَينِ يَدَيَّ وَمِن خَلْفي، وَعَن يَميني وَعَن شِمالي، وَمِن فَوْقي، وَأَعوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغْتالَ مِن تَحْتي. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد[٥].

" يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ" رواه النسائي[٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٧٧) برقم (١٥٣٦٠). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٥) برقم (٩٧٤٣) كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٢٣٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠) برقم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٤/ ٧٤) برقم (٢٠٤٣٠). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٢٤) برقم (٥٠٩٠) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٤) برقم (٩٧٦٦) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٦٠). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤) هو تتمة للحديث الذي قبله.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٨/ ٤٠٣) برقم (٤٧٨٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣١٨) برقم (٥٠٧٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٠) برقم (١٠٣٢٥) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٧١) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٤٦٥).

(٦) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٢) برقم (١٠٣٣٠) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٠١٣).



" أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ ما بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِن عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في القَبْرِ، وإذَا أَصْبَحَ قالَ ذلكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ" رواه مسلم[١].

عليكَ بذكْرِ اللهِ تحظى بقُرْبِهِ — عليكَ بذكْرِ اللهِ في العُسرِ واليُسرِ
عليكَ بذكْرِ اللهِ في كلِّ حالةٍ — عليكَ بذكْرِ اللهِ في السرِّ والجهرِ[٢]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) ينظر: https://www.aldiwan.net/poem٢٧٥٤٥html..



٢٠ ذي القعدة

تتمة أذكار الصباح والمساء

يقول الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾(١)، وكثيرًا ما نرى آيات القرآن الكريم تتحدَّث عن ذكْر الله تعالى بالعشيّ والإبكار ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾(٢)، أو بكرةً وأصيلًا ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٣)، أو بالغدو والآصال ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(٤)، أي صباحًا ومساءً.

وها نحن نذكر طرفًا جديدًا من أذكار الصباح والمساء بعد ما ذكرناه سابقًا:-

" اللَّهُمَّ عالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، فاطِرَ السَّماواتِ وَالأرْضِ، رَبَّ كلِّ شَيءٍ وَمَليكَه، أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا أَنْت، أَعوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسي وَمِن شَرِّ الشَّيْطانِ وَشركِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلى نَفْسي سوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلى مُسْلِم" رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٥).

" أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَق". مَن قاله لم يضرَّه شيءٌ حتَّى يُصبح. رواه أبو داود(٦).

" اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ" رواه أحمد(٧).

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ " رواه البخاري(٨).

---

(١) الروم: ١٧-١٨.

(٢) آل عمران: ٤١.

(٣) الإنسان: ٢٥.

(٤) الأعراف: ٢٠٥.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) برقم (٨١). والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٢) برقم (٣٥٢٩) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٢٨٩).

(٦) رواه رواه مسلم في صحيحه دون قوله "حتى يصبح" (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧٠٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٦٢) برقم (٣٥١٨) كتاب الطب باب رقية الحية والعقرب.

(٧) رواه أحمد في مسنده (٣٢/ ٣٨٣) برقم (١٩٦٠٦). والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢١).

(٨) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) برقم (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.



" أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الحَيُّ القَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ" غُفِرَ له وإنْ كان فرَّ من الزحفِ. رواه الترمذي[١].

" يَا رَبِّ؛ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ" رواه ابن ماجه[٢].

" لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ" (مائة مرة) كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبتْ له مائة حسنة، ومُحيتْ عنه مائة سيئة، وكانتْ له حرزًا من الشيطان يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأَفْضَلَ ممَّا جاءَ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ منه. رواه البخاري[٣].

" سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ" (مائة مرة) حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. رواه البخاري[٤].

" اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ" رواه مسلم[٥].

والصحيح أنَّ أذكار المساء والصباح لها وقتٌ مُحدَّدٌ، بدليل التحديد الوارد في كثير من الأحاديث النبوية: مَن قال حين يُصبح كذا وكذا، ومَن قال حين يُمسي كذا وكذا.

لكنَّ العلماء اختلفوا في تحديد وقت أذكار المساء والصباح بدايةً ونهايةً، فمن العلماء مَن يرى أنَّ وقت الصباح يبدأ بعد طلوع الفجر، وينتهي بطلوع الشمس، ومنهم مَن يقول إنَّه ينتهي بانتهاء الضحى.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٨٥) برقم (١٥١٧) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٨) برقم (٣٥٧٧) أبواب الدعوات باب في دعاء الضيف. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٢).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٩) برقم (٣٨٠١) كتاب الأدب باب فضل الحامدين. والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٨) برقم (٣٥٧٧) أبواب الدعوات باب في دعاء الضيف. والحديث قال ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٤٧٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٦) برقم (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) برقم (٦٤٠٥) كتاب الدعوات باب فضل التسبيح. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



لكنَّ الوقت المختار للذكْر هو من طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس، وأمَّا أذكار المساء؛ فمِن العلماء مَن يرى أنَّ وقت أذكار المساء يبتدئ من وقت العصر وينتهي بغروب الشمس، ومنهم مَن يرى أنَّ وقت أذكار المساء يمتدُّ إلى ثلث الليل، وذهب بعضهم إلى أنَّ بداية أذكار المساء تكون بعد الغروب.

ولعلَّ أقرب الأقوال أنَّ العبد ينبغي له أن يحرص على الإتيان بأذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوعِ الشمس؛ فإن فاتْه ذلك فلا بأس أن يأتي به إلى نهاية وقت الضحى وهو قبل صلاة الظهر بوقت يسير، وأن يأتي بأذكار المساء من العصر إلى المغرب، فإن فاتْه في هذا الوقت فلا بأس أن يذكره إلى ثلث الليل، والدليل على هذا التفضيل ما ورد في القرآن من الحثِّ على الذكْر في البكور- وهو أول الصباح-، والعشي- وهو وقت العصر إلى المغرب-[1].

وأذكار المساء والصباح سُنَّةٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم وليست واجبة، ويجوز لمن فاتَتْه أن يقضيها في غير وقتها وله الأجر والثواب.

والدليل على ذلك قول الإمام النووي في كتاب (الأذكار): ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكْر في وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ، أو عَقِيب صلاةٍ أو حالةٍ من الأحوال، ففاتَتْه؛ أن يتداركها، ويأتي بها إذا تمكَّن منها، ولا يُهملها، فإنَّه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يُعرِّضْها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نامَ عن حزبه أو عن شيءٍ منه؛ فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتبَ له كأنَّما قرأه من الليل" رواه مسلم[2].

وفي الختام؛ على المسلم أن يُكثر من ذكر الله في جميع أوقاته خاصة وقت الصباح والمساء؛ حتى يظل دائمًا وأبدًا محفوظًا بحفظ الله تعالى، وتنحلُّ عنه عقد الشيطان، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ علَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ" رواه البخاري[3]. ففي الحديثِ أنَّ الذِّكرَ يَطرُدُ الشَّيطانَ، وكذا الوُضوءُ والصَّلاةُ.

---

(١) ينظر: شرح بلوغ المرام للهيميد (٤/ ٧٦٨). شرح بلوغ المرام بطريقة سؤال وجواب، المؤلف: سليمان بن محمد اللهيميد

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

وقد وردت أبيات في فضْل الذِّكْر للشيخ السعدي- رحمه الله تعالى- يقول فيها:-

فذِكْرُ إلهِ العرشِ سرًّا ومُعلِنًا	يُزيل الشقا والهمَّ عنك ويَطردُ
ويَجلبُ للخيراتِ دُنيا	وإن يأتِكَ الوسواسُ يومًا يشردُ
وأجلًا فقدْ أخبرَ المختارُ يومًا	بأنَّ كثيرَ الذِّكْرِ في السبقِ مُفرَدُ
لصحبهِ ووصَّى مُعاذًا يستعينُ إلهَهُ	على ذِكْرِهِ والشُّكر بالحُسْنِ يعبدُ
وأوصى لشخصٍ قد أتى لنصيحةٍ	وقد كانَ في حمْلِ الشرائعِ يَجهدُ
بأن لا يزالَ رطبًا لسانُكَ هذه	تُعين على كُلِّ الأمورِ وَتَسعدُ
وأخبرَ أنَّ الذكْرَ غرسٌ لأهلِهِ	بجنَّاتِ عدْنٍ والمساكن تُمهَّدُ
وأخبرَ أنَّ الله يذكُرُ عبدَهُ	ومعه على كلِّ الأمورِ يُسدَّدُ[1]

(١) منهج الحق (ص ٥). منهج الحق منظومة في العقيدة والأخلاق، للشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمان بن ناصر السِّعدي رحمه الله تعالى (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) تُنشر لأوَّل مرَّة، من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي



٢١ ذي القعدة

أذكار الخروج من المنزل وأهميتها

عن أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة- رضي الله عنها- تصف خروجه صلى الله عليه وسلم من بيتها فتقول: ما خرَجَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من بَيتي قَطُّ إلَّا رفَعَ طَرْفَه إلى السَّماءِ، فقال:" اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أظْلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ" رواه الترمذي وأبو داود(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك: أي ألتجئ إليك، من أن أَزِلَّ، أي أن يقع مني الزَّلل، والزَّلل يكون بمعنى الخطأ قولًا أو فعلًا، ويكون بمُزايلة الحقِ أي زلَّت قدمه، هذه زلَّة من فلانٍ، سواء كان ذلك يسيرًا أم كبيرًا، فهو يستعيذ بالله من أن يزلَّ، أن يحيد، أن يخرج عن دائرة الحقِّ في مقاله أو فعاله، وكذلك أيضًا هو يستعيذ بالله من أن يكون غيرُه هو مَن يُوقعه في الزَّلل، يستعيذ من أن يقع له الزَّلل بسبب غيره:" أو أُزَلَّ" يعني: أُصْرَف عن الحقِ، يُوقعني في الخطأ، وفي الانحراف، وفي الزلَّة، أن يُوقعني غيري.

وكذلك يستعيذ بالله- تبارك وتعالى- من أن يظلم، فيقع الظُّلم منه لغيره، هذا الظُّلم سواء كان باللِّسان؛ بقولٍ يقوله في حقِّ غيره من: غيبةٍ، أو نميمةٍ، أو سبابٍ وشتائم، أو حكم على الآخرين لا يكون مُوافقًا للحقِ والصَّواب، فكل هذا من الظُّلم، ويدخل في ذلك العدوان عليهم باللِّسان، واليد، والجوارح، وما إلى ذلك، هذا كلُّه من الظُّلم، سُوء الظنِّ بالناس ظلمٌ لهم، الحكم عليهم بغير الحقِ هو من قبيل الظُّلم، الاحتقار للآخرين، التَّكبُّر عليهم، التَّعالي والتَّعاظم، كل هذا من الظُّلم.

والظُّلم أنواع كثيرةٌ جدًّا، والخارج من بيته عُرضة لهذه الأنواع أن يقع له شيءٌ من ذلك؛ إمَّا بسببٍ صدَرَ منهم ابتداءً، يعني: كأن يُستفزَّ مثلًا، أن يتصرَّف أحدٌ منهم تصرُّفًا يجعل الآخرين لربَّما يتغيَّظون عليه فيظلمونه ولو بالدُّعاء، فإنَّه كما قال شيخُ الإسلام- رحمه الله- بأنَّ الإنسان قد يُظْلَم، ولكنَّه يَظلم أعظم من مظلمته، فيكون مُتعدِّيًا بالدُّعاء على ظالمه بأكثر مما جنى(٢).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا خرج من بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٧) أبواب الدعوات باب منه. والحديث قال صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٤٨٦).

(٢) لم أقف عليه.



"أَجهل" يعني: أفعل فعلَ الجُهلاء، يعني: من العدوان على الآخرين في أعراضهم، في دمائهم، في أموالهم، أو غير ذلك، فهذا الجهل بمعنى التَّعدِّي؛ ولهذا قال: أو يُجهَل عليَّ، خلافًا لـمَن فسَّره بالجهل الذي يُقابل العلم، فالجهل يأتي لهذا وهذا، لكن الظَّاهر أنَّ المرادَ به هنا- والله تعالى أعلم- أنَّه الجهل الذي بمعنى التَّعدِّي على الآخرين، يستعيذ بالله- تبارك وتعالى- من أن يكون عدوانيًّا، أن يكون جانيًا على أحدٍ من الناس، أن لا تصدُر منه جنايةٌ أصلًا، وعدوانٌ على أحدٍ في نفسٍ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ، أو غير ذلك.

أو يُجهَل عليَّ يعني: يفعل الناسُ بي أفعالَ الجُهَّال من إيصال الضَّرر والمكروه وأنواع الأذى والعدوان، فيُقابلونه مقابلةَ الجاهلين بالسَّفه والوقاحة والسِّباب ونحو ذلك، فهذا يستعيذ الإنسانُ منه إذا خرج من بيته.

وكذلك يستعيذ بالله تعالى من ظلم الناس: أن يَظلمهم، أو أن يظلموه، أو أن يُؤذيهم، أو أن يصل إليه شيءٌ من أذاهم؛ لأنَّه لا بدَّ من مُخالطةٍ لهؤلاء الناس، فمَن سلم مِن ذلك جميعًا فقد سلم، وذلك أنَّ العبدَ لا يخلو- لأنَّه من طبيعة الإنسان- أنَّه لا بدَّ له من مُؤانسةٍ وخُلطةٍ واجتماعٍ بالناس، قد يصدُر منه أو يصدُر منهم ما يكون سببًا للآثام والأوزار، فهو يستعيذ بالله من ذلك جميعًا؛ ليكون مُعافًى، يتعوَّذ بالله من ذلك جميعًا أن يصدُر من طرفه، أو من طرف غيره؛ ولهذا كان بعضُ السَّلف يقول: اللهم سلِّمني وسلِّم مني.

وفي حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!" رواه أبو داود والنسائي[(١)].

ويذكر بعض أهل العلم هنا التَّناسُب في هذه المذكورات مع قوله: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ، فهو بعد أن يُقرِّر أنَّ الإنسان إذا خرج من منزله لا بدَّ أن يُعاشِر الناس، ويُزاول الأمر، فيخاف أن يعدل عن الصِّراط المستقيم: فإمَّا أن يكون في أمر الدِّين؛ فلا يخلو من أن يَضلَّ أو يُضلَّ، وإمَّا أن يكون في أمر الدُّنيا: فإمَّا بسبب جريان المعاملة معهم بأن يَظلِم أو يُظلَم، وإمَّا بسبب الاختلاط والمصاحبة:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٥) كتاب الأدب باب ما يقول إذا خرج من بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٦) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا خرج من بيته. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩) برقم (٩٨٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٥).

فإمَّا أن يَجهَل أو يُجهَل عليه، استعاذ من هذه الأحوال جميعًا بلفظٍ مُختَصرٍ سَلِسٍ(١)، ثمَّ يُطبِّق هذه المذكورات على قوله: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ.

فإنَّ العبد إذا قال:" بسمِ اللهِ" قيل له:" هُدِيتَ"، وإذا قال:" توكلتُ على اللهِ" يُقال له:" كُفِيتَ"، وإذا قال:" لا حولَ ولَا قوةَ إلَّا باللهِ"، يُقال له:" وُقِيتَ"، فهذه نتائج ثلاث مُرتَّبة على الجُمَل الثلاث الأولى.

ويُرتِّب الطِّيبي هنا ذلك أيضًا على هذا الدُّعاء: أعوذ بك أن أَزلَّ أو أُزلَّ، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهَل عليَّ، فهذه ثلاثٌ، وفي تفصيلها تتشعَّب كلُّ واحدةٍ إلى شعبتين، فيكون المجموعُ ستًّا.

فالمقصود أنَّ الثلاثَ هذه من حيث الإجمال؛ يقول: بأنَّ قوله:" هُدِيتَ" مُطابقٌ لقوله: أَضلَّ أو أُضلَّ، يُقال:" هُدِيتَ"؛ لأنَّ الذي يُقابل الضَّلال هو الهداية، وكذلك" كُفِيتَ" أنَّه مُطابقٌ لقوله: أن أَظلم أو أُظلم، فيُكفى ذلك؛ فلا يصلْ منه ظُلمٌ لأحدٍ، ولا يصل إليه ظُلمٌ من أحدٍ.

وأنَّ قوله:" وُقِيتَ" مُوافِقٌ ومُطابِقٌ لقوله: أَجهل أو يُجهَل عليَّ، فهو يتخوَّف من عدوان الناس، أو أن يصل منه عدوانٌ إلى الآخرين، فيستعيذ بالله من ذلك كلِّه، فيُقال له:" وُقِيتَ"، أي بينك وبين هذا العدوان وقايةٌ، تُرْسٌ، أنت في منعةٍ.

المقصود أنَّ الإنسان حينما يلتجئ إلى الله- تبارك وتعالى- بهذا الذكر والدُّعاء والاستعاذة، ويحمي نفسَه من هذه المخاوف جميعًا: أن يَضلَّ أو يُضلَّ، أو يَزلَّ أو يُزلَّ، أو يَجهل أو يُجهل عليه، فينبغي للمسلم أن يُحافظ على ذلك، وأن يحرص عليه؛ ليكون مُعتصمًا بربِّه وخالقه، فيُحْفَظ، ولا يصل إليه مكروهٌ، مع الأخْذ بالأسباب، وهذه الأسباب تكون مُرتبِطةً بالتَّوكُّل على الله، والاستعانة به.

وفي الختام فإنَّه كما سنَّ الدعاء عند الخروج من البيت، فكذلك سنَّ آداب الاستئذان، ودعاء الدخول إلى البيت، وهو:" اللهمَّ إِنِّي أسألك خير المولج وخير المخرَج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى ربِّنا توكَّلنا" رواه أبو داود(٢).

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٦) كتاب الأدب باب ما يقول إذا دخل بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٦) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا خرج من بيته. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩) برقم (٩٨٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٢/ ٧٣٠).



ولهذا الدعاء فضلٌ كبيرٌ؛ فهو يمنع الشياطين من الدخول إلى البيت، عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ؛ قالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ" رواه مسلم. لكنَّه إن دخل بيته ولم يذكر الله- سبحانه وتعالى- دخلت الشياطين إلى البيت، ويُوضِّح ذلك تتمَّة الحديث السابق:" فإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المبِيتَ، وإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قالَ: أَدْرَكْتُمُ المبِيتَ وَالْعَشَاءَ" رواه مسلم(١).

وقد وصَّى النبي صلى الله عليه وسلم بالسَّلام على أهله عند الدخول إلى البيت، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- ما قد وصَّاه به النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" يا بُنَيَّ؛ إذا دخلتَ علَى أَهلِكَ فسلِّم، يَكُنْ برَكَةً عليكَ، وعلَى أهلِ بيتِكَ" رواه الترمذي(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٨) برقم (٢٠١٨) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٩) برقم (٢٦٩٨) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٦).

٢٢ ذي القعدة

آداب الرؤيا

عن أبي قتادة– رضي الله عنه– قال: قَالَ صلى الله عليه وسلم:" الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ" رواه البخاري[١]. فعلِمنا أنَّ الرؤيا نوعان: رؤيا صالحة، ورؤيا سوء.

وقد أرشد الشرع الحكيم إلى بعض الآداب التي ينبغي أن يفعلها مَن رأى في منامه رؤيا.

فمِن أهمِّ آداب الرؤيا الصالحة:

١– أن يعلم أنَّها من الله تعالى فيحمده عليها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا" رواه البخاري[٢].

٢– أن يفرح ويستبشر بها، وينشرح لها صدره، ولا يقصها إلَّا على مَنْ يُحبُّ، ولا يطلب تأويلَها إلَّا من ذي رأيٍ وحِكمة، وعلمٍ ونُصْح؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً؛ فَلْيُبْشِرْ، وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ" رواه مسلم[٣]. وفي رواية الترمذي:" وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا"[٤] وفي رواية الترمذي أيضًا:" لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ"[٥].

والحِكمة في عَرْضِ الرؤيا على أهل العلم والنُّصح: أنَّ العالِمَ يُؤوِّلها له على الخير مهما أمكنه. وأمَّا الناصح فإنَّه يُرشده إلى ما ينفعه ويُعِينه عليه. وأمَّا الحبيب فإنْ عَرَفَ خيرًا قاله، وإنْ جَهِلَ أو شَكَّ سَكَت.

ومن الآداب والضوابط المعتبَرة في المعبِّر: أن يكون عالِمًا حاذِقًا بعلْم تأويل الرؤى. وأنْ يحفظ الأسرار؛ فلا يذهب فيقول:" فلانٌ رأى كذا، أو كذا"، ممَّا فيه كَشْفٌ لها. وأنْ يكون عالِمًا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٥) برقم (٣٢٩٢) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٦) برقم (٢٢٧٨) أبواب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره. والحديث صححه الألباني كما في الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٧٧).

(٥) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٧) برقم (٢٢٨٠) أبواب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٢٣٣).

بكتاب الله، وسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم، ولغةِ العرب، وأمثالِها، وما يجري على ألسنة الناس. وأنْ يُعَبِّر الرؤيا على مقادير الناس، ومذاهبِهم وأديانِهم وبلدانِهم، مع الاستعانة بالله تعالى، وسؤالِه التوفيقَ والسدادَ في تعبيره للرؤيا. وإذا لم يُمكنه تأويلها؛ فإنَّ الأَولى أنْ يُحيلها على مَنْ هو أعلم منه بالتأويل، ولا يتحرَّج في ذلك. وإذا كانت الرؤيا فيها شيءٌ يكرهه صاحبُها؛ فإنَّه يَصْمُت، أو يدعو صاحِبَها إلى الْتِزام تقوى الله تعالى. وأنْ ينوي بتعبيره التقرُّب إلى الله تعالى؛ لأنَّ تعبير الرؤيا سُنَّة مأخوذةٌ عن الأنبياء.

٣- أن يُفسِّرَها على أحسن الوجوه، فإنَّ ذلك ممَّا يشرح صدر الرائي، ويزيد في استبشاره وتوقُّعه للخير، والمسلمُ مُطالَب بالتفاؤل، وإحسانِ الظَّنِّ بالله تعالى في كلِّ أحواله، والتفسيرُ الحَسَنُ يصبُّ في هذا الاتجاه؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا رَأى أحَدُكُم الرُّؤيا الحَسَنَةَ فَلْيُفَسِّرْها ولْيُخْبِرْ بِها" رواه الترمذي[1].

ومن أهمِّ آداب الرؤيا السُّوء المكروهة:

١- الاستعاذة بالله تعالى من شرِّها، والاستعاذة من الشيطان؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ؛ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا" رواه البخاري[2]. وعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: كَانُوا إِذَا رَأَى أَحَدُهُمْ فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ قَالَ: أَعُوذُ بِمَا عَاذَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنْ يُصِيبَنِي مِنْهُ شَيْءٌ أَكْرَهُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[3].

---

(١) قال الألباني: "أورده السيوطي من رواية الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: "إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها". وكذلك في "الجامع الكبير" (١/ ٥٦/ ٢)، وقال المناوي في "الفيض": "رمز لحسنه تبعا للترمذي، وحقه الرمز لصحته وظاهر صنيع المصنف أن الترمذي تفرد بإخراجه عن الستة، ولا كذلك، فقد رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة باللفظ المذكور". كذا قال، ولم أجد الحديث عند الترمذي وابن ماجه باللفظ المذكور بعد مزيد من البحث عنه وتعاطي كل الوسائل الممكنة" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٢٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٧٠) برقم (٢٩٥٤٦). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.



٢- أن يبصق أو ينفث عن يساره ثلاثًا؛ ويوقن بأنَّها لنْ تضرَّه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ؛ فَلْيَنْفُثْ (وفي لفظ: فَلْيَبْصُقْ) عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ" رواه مسلم(١).

وكون البصق يسارًا؛ لأنَّ جهة اليسار محلُّ الأقذار، ويبصق ثلاثًا؛ للتأكيد. فيجب على المسلم أن يعتقد يقينًا أنَّ الحُلْمَ لن يضرَّه، وهو أمرٌ مُرتبطٌ بالاعتقاد الصحيح، فيكون سببًا للسلامة من المكروه. والمتأمِّل في روايات هذه الأحاديث؛ يلحظ أنَّه قد ورد الأمْر بالنفْث والتفل والبصق، فلعلَّ المراد أن ينفخ العبد مع شيءٍ يسيرٍ من الريق.

٣- التَّحوُّل عن الجَنْب الذي ينام عليه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ" رواه مسلم(٢). أي: إلى الجَنْب الآخَر؛ تفاؤلًا بِتَحوُّل تلك الحال التي كان عليها.

٤- أن يقوم فيُصلِّي؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ" رواه مسلم(٣). والصلاة فيها لجوء إلى الله تعالى؛ لِقُرْب المصلِّي من ربِّه عند سجوده.

٥- ألَّا يَقُصَّها على أحدٍ، ولا يطلبَ تفسيرها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا السَّيئة:" فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ" رواه البخاري(٤).

وقد قسَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الرؤيا إلى ثلاثة أقسام، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ"(٥).

فأمَّا القسم الأول الذي هو جزءٌ من خمس وأربعين جزءًا من النبوَّة، فهو الذي يُعبِّره المعبِّرون، لكن لا ينبغي أن يتجاسر على تعبيرها إلَّا مَن هو أهلٌ لتعبيره، عالِمٌ بتأويله، وَقِيلَ للإمام مَالِكٍ- رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَيَعْبُرُ الرُّؤْيَا كُلُّ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: أَبِالنُّبُوَّةِ يُلْعَبُ؟! وَقَالَ أيضًا: لَا يَعْبُرُ الرُّؤْيَا إِلَّا مَنْ يُحْسِنُهَا، فَإِنْ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.
(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.
(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣) برقم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.
(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣) برقم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.



رَأَى خَيْرًا أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ رَأَى مَكْرُوهًا فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. قِيلَ: فَهَلْ يَعْبُرُهَا عَلَى الْخَيْرِ وَهِيَ عِنْدَهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ؛ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَلَى مَا أُوِّلَتْ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: لَا. ثُمَّ قَالَ: الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَلَا يُتَلَاعَبُ بِالنُّبُوَّةِ[١].

وأمَّا القسم الثاني الذي هو تحزين من الشيطان فلا ينبغي تكلُّف تعبيره، بل ولا التحدُّث به، فعن جابر- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ رأيتُ في المنام كأنَّ رأسي قُطِع. قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يُحدِّث به الناس. رواه مسلم[٢]. ورواه ابن ماجه أيضًا بلفظ: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ وهو يخطب فقال: يا رسول الله؛ رأيتُ البارحة فيما يرى النائم كأنَّ عُنقي ضُرِبتْ وسقط رأسي فاتَّبعتُه فأخذتُه فأعدتُه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يُحدِّثنَّ به الناس[٣].

وأمَّا القسم الثالث فكذلك، لأنَّه ليس رؤيا، وإنَّما هو أشياء يهتمُّ بها الإنسان في يقظته، فتبقى في ذاكرته، فيراها في النوم.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ. وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ، فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ. وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ" رواه ابن ماجه[٤].

وعلى المسلم ألَّا يتعجَّل في التأويل للرؤيا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ" رواه أبو داود وابن ماجه[٥]. حتَّى يتبصَّر، ويُؤوِّلها على أحسن وجه، فإنَّها إذا أُوِّلت وقعَتْ على ما أُوِّلت إلَّا أنْ يشاء اللهُ تعالى.

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٨٨). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٧) برقم (٢٢٦٨) كتاب الرؤيا باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٧) برقم (٣٩١٢) كتاب تعبير الرؤيا باب من لعب به الشيطان في منامه فلا يحدث به الناس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٤١).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٥) برقم (٣٩٠٧) كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا ثلاث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٤٠).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٠٥) برقم (٥٠٢٠) كتاب الأدب باب ما جاء في الرؤيا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٨) برقم (٣٩١٤) كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٦٦٣).



كذا عليه ألَّا يَكْذِبَ في رؤياه، والكذبُ في الرؤيا من أكبر الكبائر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ" رواه البخاري[١]. وقوله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ" رواه البخاري[٢].

ونختم بما قاله ابن القيم- رحمه الله- في مدارج السالكين: ومَن أراد أن تصدُق رؤياه فليتحرَّ الصدق، وأكْل الحلال، والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولْينمْ على طهارةٍ كاملةٍ، مُستقبِلًا القبلة، ويذكر الله حتَّى تغلبه عينه، فإنَّ رؤياه لا تكذب البتة، وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار، فإنَّه وقت النزول الإلهي، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشياطين[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٣) برقم (٧٠٤٣)كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٢) برقم (٧٠٤٢)كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.



٢٣ ذي القعدة

السلام وآدابه

للسلام آداب جليلة بيَّنَتْها السُّنَّة النَّبويَّة، ورغبت في تطبيقها وتنفيذها بدقة، تتمثَّل هذه الآداب فيما يلي:

الأدب الأوَّل: تسليم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير. من السُّنَّة أن يُسلِّم الصغير على الكبير؛ وذلك لحقِّ الكبير من التوقير والتكريم، وهو الأدب الذي ينبغي سلوكه، ويُسلِّم الراكب على الماشي؛ حتَّى يحمل السلامُ الراكبَ على التواضع وعدم التكبُّر، ويُسلِّم الماشي على القاعد؛ لشبهه بالداخل على أهل المنزل، ويُسلِّم القليل على الكثير؛ لحقِّ الكثير؛ فحقُّهم أعظم.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثير" متفق عليه[١].

فقوله صلى الله عليه وسلم:" والقليل على الكثير" أمرٌ نسبيٌّ، يشمل الواحد بالنسبة للاثنين فصاعدًا، والاثنين بالنسبة للثلاثة فصاعدًا وما فوق ذلك.

وقيل: يبدأ الأدنى منهما الأعلى قدرًا في الدين إجلالًا لفضْله؛ لأنَّ فضيلة الدين مُرغَّبٌ فيها في الشرع. وإذا كان هناك ماشيان، ثم حال بينهما حائل- كشجرة أو جدار ونحو ذلك- فإنَّه يُشرَع لهما السلام إذا التقيا مرَّة أخرى، ولو تكرَّر ذلك مرَّات؛ وذلك لما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال:" إذا لقِي أحدُكم أخاه فلْيُسلِمْ عليه، فإن حالتْ بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فلْيسلِمْ عليه" رواه أبو داود[٢].

الأدب الثاني: عدم تخصيص أحدٍ من الجالسين بالسَّلام: فإنَّ هذا مِن شأنِه أن يُوغر صدور الجالسين، ويزرع البُغض والحقد. لذا يُكرَه إذا لقى جماعة أن يَخُصَّ بعضهم بالسلام؛ لأنَّ القصد بمشروعية السلام تحصيل الأُلفة، وفي التخصيص إيحاشٌ لغير مَن خصَّ بالسلام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣٢) كتاب الاستئذان باب تسليم الراكب على الماشي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٣) برقم (٢١٦٠) كتاب السلام باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥١) برقم (٥٢٠٠) كتاب الأدب باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه؟. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٦١).



الأدب الثالث: أن يُلقَى السلامُ برفقٍ ولينٍ وخفضِ صوتٍ على قومٍ فيهم نيام. بحيث لا يُقلقهم ولا يُوقظهم، وفي هذا أدبٌ نبويٌ رفيعٌ، حيث يُراعَى فيه حالُ النائم فلا يُكدِّر عليه نومه، وفي الوقت نفسه لا تفوت فضيلة السلام.

وعن المِقْدَاد- رضي الله عنه- في حَدِيثه الطويل قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَصِيبهُ مِنَ اللَّبَن، فَيَجِيئُ مِنَ اللَّيلِ فَيُسَلِّمُ تسليمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَان، فَجَاء النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّم كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[١].

الأدب الرابع: استحباب تكرار السلام ثلاثًا، إذا كان الجمع كثيرًا، أو شَكَّ في سماع المسلَّم عليه. عن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا، وإذا أتى قومًا فسلَّم عليهم؛ سلَّم عليهم ثلاثًا. رواه البخاري[٢].

قال الإمام النووي: وهذا محمولٌ على ما إذا كان الجمعُ كثيرًا[٣].

وأضاف ابن حجر: وكذا لو سلَّم وظنَّ أنَّه لم يُسمَعْ فتُسنُّ الإعادة، فيُعيد مرَّة ثانية وثالثة، ولا يزيد على الثالثة[٤].

قال الحافظ ابن القيم: كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يُسلِّم ثلاثًا، ولعلَّ هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلامٌ واحدٌ أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث؛ إن ظنَّ أنَّ الأول لم يحصل به الإسماع كما سلَّم لما انتهى إلى منزل سعد بن عبادة ثلاثًا فلمَّا لم يُجبْه أحدٌ رجع[٥].

الأدب الخامس: الجهر بإلقاء السلام، وكذلك الردُّ: لقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في السلام أن يرفع صوته بالسلام، وكذلك في الردِّ، فلا يحصل بالإسرار الأجر؛ إلَّا ما استُثْنِي.

وعن ثابت بن عبيد- رضي الله عنه- قال: أتيتُ مجلسًا فيه عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- فقال: إذا سلَّمتَ فأسمِعْ؛ فإنَّها تحية مباركة طيِّبة[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٢٥) برقم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠) برقم (٩٥) كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

(٣) الأذكار للنووي (ص: ٢٤٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٧).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٨٢).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٤٧) برقم (١٠٠٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٨٥). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

وذكر ابن القيم: أنَّ مِن هديه صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يُسمِع المسلِّمَ ردَّه عليه(١).

وقال ابن حجر: واستُدِلَّ بالأمر بإفشاء السلام على أنَّه لا يكفي السلام سرًّا، بل يُشترَط الجهر، وأقلُّه أن يُسمِعَ في الابتداء والجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه(٢).

الأدب السادس: تعميم السلام على مَن يعرفه المرء أو لا يعرفه: عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال:" أن تُطعِمَ الطعام، وتقرأ السلام على مَن عرفتَ ومَن لم تعرف" رواه البخاري ومسلم(٣).

وهذا الحديث فيه الحثُّ على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة، لعلَّ مِن أعظمها: التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض، وضده السلام على الخاصَّة، وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ بين يدي الساعة تسليمَ الخاصَّة" رواه أحمد(٤).

الأدب السابع: استحباب إلقاء السلام على الصبيان: وذلك لتعويدهم وتدريبهم منذ الصغر على آداب الشريعة تأسيًّا بالنبي صلى الله عليه وسلم. عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله. متفق عليه(٥).

وفي السلام على الصبيان حمْلٌ للنفس على التواضع، وسلوك لين الجانب.

الأدب الثامن: استحباب السلام عند دخول البيت. وذلك إذا كان مسكونًا، فإذا كان البيت خاليًا؛ فقد استحبَّ بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم أن يُسلِّم الرجل على نفسه إن كان البيت خاليًا.

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: إذا دخل البيت غير المسكون؛ فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين(٦).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٨٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٩)

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٢) كتاب الإيمان باب إطعام الإطعام من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٤١٥) برقم (٣٨٦٩). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٤٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٥) برقم (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٨) برقم (٢١٨٦) كتاب السلام باب استحباب السلام على الصبيان.

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٦٣) برقم (١٠٥٥). والحديث حسن إسناده الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٤٠٧).



قال ابن حجر: ويدخل في عموم إفشاء السلام؛ السلام على النفس لمن دخل مكانًا ليس فيه أحد، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[(١)][(٢)].

الأدب التاسع: استحباب ردُّ السلام على مَن حمل إليه السلام والمحمول إليه: عن غالبٍ قال: إنَّا لجلوسٌ بباب الحسن إذ جاء رجل فقال: حدَّثني أبي عن جدي قال: بعثني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ائته فأقرئه السلام، قال: فأتيتُه فقلتُ: إنَّ أبي يُقرئك السلام. فقال: عليك وعلى أبيك السلام. رواه أبو داود[(٣)].

وعن عائشة- رضي الله عنه- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة؛ هذا جبريل يقرأ عليكِ السلام. قالتْ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى(تريد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-). رواه البخاري[(٤)].

وعن أنس- رضي الله عنه- قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده خديجة- رضي الله عنها- قال: إنَّ الله يُقرئ خديجة السلام. فقالتْ: إنَّ الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. رواه النسائي[(٥)].

الأدب العاشر: السلام على القوم عند الخروج من المجلس، فكما أنَّه يُسنُّ السلام عند القدوم على المجلس، فكذلك مِن السُّنَّة أن يُلقي السلام عند مفارقة ذلك المجلس.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فلْيُسلمْ، فإن بدا له أن يجلس فلْيجلسْ، ثم إذا قام فلْيُسلِّمْ، فليستِ الأولى بأحقَّ من الآخرة" رواه أبو داود والترمذي[(٦)].

---

(١) النور: ٦١.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٠).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥٨) برقم (٥٢٣١) كتاب الأدب باب في الرجل يقول: فلان يقرئك السلام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣٤٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٢) برقم (٣٢١٧) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٦) برقم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٩٠) برقم (٨٣٠١) كتاب المناقب، مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤١٣) برقم (٩٦٦٣). والترمذي في سننه (٥/ ٦٢) برقم (٢٧٠٦) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٤٤) برقم (١٠١٢٩) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا قام. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٧٨).



قال الطيبي: أي: كما أنَّ التسليمة الأولى إخبارٌ عن سلامتهم من شرِّهِ عند الحضور، فكذلك الثانية إخبارٌ عن سلامتهم من شرِّهِ عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى(١).

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٠٤٩). شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.



٢٤ ذي القعدة

عيادة المريض فضلها وآدابها

إن زيارة المريض حق المسلم على أخيه المسلم، فإذا مرض شخص كان من حقه عليك أن تزورَه وتواسيَه وتُخفِّفَ من مرضه، فعن أبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" حَقُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ" رواه البخاري ومسلم[١].

فزيارة المريض أمرٌ مُرغَّبٌ فيه شرعًا، ومن حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولكنَّها ليست واجبة، وقال بعض العلماء: إنَّها مُستحبَّة، ورأى آخرون أنَّها فرض كفاية، والغرض منها مؤانسة المريض وجبْر خاطر أهله والدعاء له.

وتشير الأحاديث إلى أنَّه يجب على المسلم أن يجعل زيارته لله وفي الله، لا لغرض دنيوي؛ كأن يعود الأغنياء ويترك الفقراء والمساكين والضعفاء الذين يُرزَق الناس ويُنصَرون بسببهم.

والمرض صورة من صور الضعف البشري الذي يعتري كل البشر، فالمريض يجد نفسه في أزمة حقيقية، يحتاج إلى رفعها عنه حسيًّا ومعنويًّا، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعًا ما يتحرك تجاه هؤلاء المرضى؛ للتخفيف عنهم ورفع معنوياتهم. وعن عثمان بن عفان-رضي الله عنه- قال: إنَّا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير" رواه أحمد[٢].

فالهدف من زيارة المريض مُوَاساته، وإظهار الحبِّ له؛ فيُتَرجَمُ ذلك إلى أثرٍ نفسيٍّ يعود على المريض، فيَسعد المريضُ، وكذلك أهلُهُ، وتهون عليه أزمته ومرضه.

ولعيادة المريض فضل عظيم وثواب جزيل، منه:

أولًا: الجلوس في معية الله عز وجل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ؛ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٤) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٢) برقم (٥٠٤).



أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ؛ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" رواه مسلم[١].

ثانيًا: صلاة الملائكة عليه: ويكفى في فضل عيادة المريض؛ أن الملائكة تُصلِّي على العائد وتستغفر له، واستغفار الملائكة مجاب إن شاء الله، فعنْ أَبِي فَاخِتَةَ قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، قَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ" رواه أحمد والتِّرمِذي[٢].

وفي رواية أخرى عَنْه- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أيضًا؛ قَالَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ" رواه أبو داود[٣].

ثالثًا: نزول الرحمة والمغفرة: عن جابرِ بنِ عَبْد اللهِ- رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، حَتَّى إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيهَا" رواه أحمد[٤].

وعَنْ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: أَتَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ- رضي الله عنه- فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ؛ إِنَّ الْمَكَانَ بَعِيدٌ، وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، قَالَ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٠) برقم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١١٠) برقم (٧٠٢). والترمذي في سننه (٣/ ٢٩١) برقم (٩٦٩) أبواب الجنائز باب ما جاء في عيادة المريض. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٥٢) برقم (٧٤٥٢) كتاب الطب، ثواب من عاد مريضًا. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤٨٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٨٥) برقم (٣٠٩٨) كتاب الجنائز باب في فضل العيادة على وضوء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٥/ ٨٨) برقم (١٥٧٩٧). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٩٨).



فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ" رواه أحمد(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ" رواه مسلم(٢).

رابعًا: السعادة والنعيم: فالله تعالى يجعل ثواب العائد سعادة ورضا، فهو في ممشاه إلى المريض يمشي في رياض الجنة، ويتبوَّأ منها منزلًا، عَنْ ثَوْبَانَ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ؛ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ" رواه مسلم(٣). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا" رواه الترمذي(٤).

خامسًا: معرفة نعمة الله عليك: رُوي أنَّ رجلًا جاء إلى أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فقال: يا أم المؤمنين؛ إنَّ بي داءً؛ فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بئس الداء داؤك، عُدِ المرضى، واشهدِ الجنائز، وتوقَّعِ الموت(٥).

ولقد لخص ابن حجر آداب عيادة المريض فقال: فِي الْعِيَادَة أَنْ لَا يُطِيلَ الْعَائِدُ عِنْد الْمَرِيض حَتَّى يَضْجَرهُ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّم عِنْده بِمَا يُزْعِجهُ. وَجُمْلَة آدَاب الْعِيَادَة عَشَرَة أَشْيَاء، وَمِنْهَا مَا لَا يَخْتَصُّ بِالْعِيَادَةِ: أَنْ لَا يُقَابِل الْبَاب عِنْد الِاسْتِئْذَان، وَأَنْ يَدُقّ الْبَاب بِرِفْقٍ، وَأَنْ لَا يُبْهِم نَفْسه كَأَنْ يَقُول:

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٧٩) برقم (١٢٧٨١). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًا" كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٣٨٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٣) برقم (١٠٢٨) كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة، وأعمال البر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٩) برقم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٩٢) برقم (٨٦٥١). والترمذي في سننه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في زيارة الإخوان. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٣٨).

(٥) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٩٦) برقم (٢٠٧). الزهد لأبي داود السجستاني، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.



أَنَا، وَأَنْ لَا يَحْضُر فِي وَقْت يَكُون غَيْر لَائِق بِالْعِيَادَةِ؛ كَوَقْتِ شُرْب الْمَرِيض الدَّوَاء، وَأَنْ يُخَفِّف الْجُلُوس، وَأَنْ يَغُضّ الْبَصَر، وَيُقَلِّل السُّؤَال، وَأَنْ يُظْهِر الرِّقَّة، وَأَنْ يُخْلِص الدُّعَاء، وَأَنْ يُوَسِّع لِلْمَرِيضِ فِي الْأَمَل، وَيُشِير عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ جَزِيل الْأَجْر، وَيُحَذِّرهُ مِنْ الْجَزَع لِمَا فِيهِ مِنْ الْوِزْر[(١)].

ومن آداب زيارة المريض؛ الدعاء له بما ورد من أدعية مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أدعية الشفاء:" اللَّهُمَّ ربَّ النَّاسِ؛ أَذْهِبِ الْبَأسَ، واشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفاءً لَا يُغَادِرُ سقَمًا" متفقٌ عليه[(٢)]. وعن أَبي سعيد الخُدْرِيِّ- رضي اللَّه عنه- أَن جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يَا مُحَمدُ؛ اشْتَكَيْتَ؟ قال: نَعَمْ، قال:" بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يشْفِيك، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ " رواه مسلم[(٣)].

قال الشاعر:

أدبُ العيادةِ أن تكونَ مُسَلِّمًا * * * وتقومَ في إثرِ السلامِ مُودِّعا

وقال آخر:

حُسنُ العيادةِ يــومٌ بينَ يومينِ* * * واقعدْ قليلًا كمثل اللَّحظ بالعين

لا تُبرمِنَّ عليلًا في مُســاءلةٍ* * * يكفيك من ذاكَ تسأله بحرفين[(٤)]

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٢٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٢) برقم (٥٧٤٣) كتاب الطب باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢٢) برقم (٢١٩١) كتاب السلام باب استحباب رقية المريض.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ 1718) برقم (٢١٨٦) كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى.

(٤) ينظر هذين البيتين والذي قبلهما في: http://saaid.org/Doat/hamesabadr/١٠٨.htm..



٢٥ ذي القعدة

فضل الأذان

من الشعائر العظيمة التي جاء بها الإسلام؛ الأذان. وهو في اللغة: الإعلام بالشيء، قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾(١)، أي إعلام. وقوله:﴿ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾(٢)، أي أعلمتُكم فاستوينا في العلم.

وفي الشرع: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مخصوصة مشروعة، وسُمِّي بذلك لأنَّ المؤذِّن يُعلِم الناس بمواقيت الصلاة، ويُسمَّى النداء؛ لأنَّ المؤذِّن يُنادي الناس ويدعوهم إلى الصلاة.

قال القرطبي وغيره: الأذان على قلَّة ألفاظه؛ مشتملٌ على مسائل العقيدة، لأنَّه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمَّن وجود الله وكماله، ثم ثَنَّى بالتوحيد، ونفي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنَّها لا تُعرَف إلَّا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل؛ سهولة القول وتَيسُّره لكل أحدٍ في كل زمان ومكان(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة- رضي اللَّه عنه- أَنَّ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَال:" لَوْ يعْلمُ النَّاسُ مَا فِي النِّداءِ والصَّفِّ الأَولِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يسْتَهِموا علَيهِ لاسْتهموا علَيْهِ، ولوْ يعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِير لاسْتبَقوا إِلَيْهِ، ولَوْ يعْلَمُون مَا فِي العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأتوهُما ولَوْ حبوًا" متفقٌ عليه(٤).

ومعنى الحديث: أنَّ الناس لو يعلمون ما في الأذان والصف الأول من الثواب العظيم والأجر الجزيل، ثم لم يجدوا طريقًا للقيام بالأذان والوقوف في الصف الأول؛ إلَّا القرعة لفعلوها واقترعوا من أجل تحصيل فضلهما.

---

(١) التوبة: ٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٩.

(٣) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٢/ ١٤٧). كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.



وعنْ مُعاوِيةَ- رضي اللَّه عنه- قَالَ: سمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" المؤذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يوْمَ القِيامةِ" رواه مسلم[١].

قال النووي- رحمه الله-: قيل: معناه أكثر الناس تشوُّقًا إلى رحمة الله تعالى؛ لأنَّ المتشوِّف يطيل عنقه إلى ما يتطلَّع إليه، فمعناه: كثرة ما يرونه من الثواب، وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناسَ العرقُ يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل: معناه أكثر أتباعًا، وقال ابن الأعرابي: معناه أكثر الناس أعمالًا ، قال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم " إعناقًا " بكسر الهمزة أي: إسراعًا إلى الجنة. والعَنَق نوعٌ من السير سريع[٢].

وعنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أَبي صَعْصعَةَ أَن أَبَا سعِيدٍ الخُدْرِيّ- رضي اللَّه عنه- قَالَ لَهُ:" إِنِّي أراكَ تُحِبُّ الْغَنَم والْبادِيةَ، فإِذا كُنْتَ في غَنَمِكَ أَوْ بادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ؛ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يْسمعُ مَدَى صوْتِ المؤذِّن جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِد لَهُ يوْمَ الْقِيامَةِ. قَالَ أَبُو سعيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" رواه البخاري[٣].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن أذَّن ثنتي عشرة سنة وجبتْ له الجنة، وكُتِبَ له بتأذينه في كلِّ يومٍ ستون حسنة، ولكلِّ إقامةٍ ثلاثون حسنة" رواه ابن ماجه[٤].

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمؤذِّنين والأئمة فقال:" اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ" رواه أبو داود[٥].

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على الصف المقدَّم، والمؤذِّنُ يُغفَر له بمدِّ صوته، ويُصدِّقه مَن سمعه مِن رطبٍ ويابسٍ، وله مثلُ أجرِ مَن صلَّى معه" رواه النسائي[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٠) برقم (٣٨٧) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ٩١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٩) كتاب الأذان باب رفع الصوت بالنداء.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٤١) برقم (٧٢٨) كتاب الأذان والسنة فيه باب فضل الأذان، وثواب المؤذنين. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢١٤).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٨٩) برقم (٧١٦٩). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٣) برقم (٥١٧) كتاب الصلاة باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت. والترمذي في سننه (١/ ٤٠٢) برقم (٢٠٧) أبواب الصلاة باب ما جاء أن الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٢٣١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٦٦) برقم (١٨٥٠٦). والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٩) برقم (١٦٢٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رفع الصوت بالأذان. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٤).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ (قال الجمهور: المراد بالتثويب هنا الإقامة) بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ" رواه البخاري ومسلم(١).

ومن حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه-" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ" رواه البخاري ومسلم(٢). قال الخطابي: وفيه أنَّ الأذان شعار الإسلام، وأنَّه لا يجوز تركه، ولو أنَّ أهل بلدٍ اجتمعوا على تركه؛ كان للسلطان قتالهم عليه(٣).

وقد شُرِعَ الأَذَانُ بِالْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى الأَصَحِّ. والأذان والإقامة فرضا كفاية على الرجال دون النساء للصلوات الخمس المكتوبة، فهما مشروعان بالكتاب؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٥). وبالسُّنَّة؛ لحديث مالك بن الحويرث- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم" رواه البخاري ومسلم(٦). فقوله: (أحدكم) يدلُّ على أنَّ الأذان فرض كفاية.

قال ابن تيمية: وفي السُّنَّة المتواترة أنَّه كان يُنادَى للصلوات الخمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبإجماع الأمَّة وعملها المتواتر خلفًا عن سلف(٧). والصواب أنَّ الأذان يجب على الرجال في الحضر والسفر، وعلى المنفرد، وللصلوات المؤدَّاة والمقْضيّة، وعلى الأحرار والعبيد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١) برقم (٣٨٩) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦١٠) كتاب الأذان باب ما يحقن بالأذان من الدماء.

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ٤٦٠). أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) المائدة: ٥٨.

(٥) الجمعة: ٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٨) برقم (٦٢٨) كتاب الأذان باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٥) برقم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة.

(٧) شرح عمدة الفقه (ص ٩٦). شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية - من أول كتاب الصلاة إلى آخر باب آداب المشي إلى الصلاة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ)، المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.



ويُستحبُّ الترديد خلف المؤذن: عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ المؤذِّنين يفضلوننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُلْ كما يقولون، فإذا انتهيتَ فسل تُعطه. رواه أحمد وأبو داود(١).

كما يُستحبُّ الدعاء بعد الأذان: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن قال حين يسمع النداء: اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة؛ آتِ مُحمَّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة" رواه البخاري(٢).

وأخيرًا: تُستحبُّ الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَن صلَّى عليَّ صلاة صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلَّا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّتْ له الشفاعة" رواه مسلم(٣).

وختامًا: يُستحبُّ أن يكون الأذان بصوت جهوري جميل، وأن ينتظر المؤذّن فترة ليجتمع المسلمون ثم يقيم الصلاة. كما يُستحبُّ أن يستقبل المؤذِّن أو مقيم الصلاة القبلة، وأن يكونا على وضوء. ولا يجوز الأذان قبل دخول الوقت، فإن فعل ذلك فعليه الإعادة في الوقت المحدَّد. وإذا قضى المسلم عدة فرائض في وقت واحد؛ فيكفيه أذان واحد، ويقيم لكل صلاة فائتة. كما أنَّه لا يُؤذَّن ولا يُقام لصلاة الجنازة، ولا لصلاة العيد، ولا لوتر، ولا لنافلة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٧٤) برقم (٦٦٠١). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٤) برقم (٥٢٤) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح "كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨) برقم (٣٨٤) كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.



٢٦ ذي القعدة

غزوة أحد (دروس وعبر)

لقد كانت غزوة أحد[١] بما فيها من أحداث مؤلمة؛ تربية للأمَّة في كل زمان ومكان، لما فيها من دروس وعبر، تتوارثها الأجيال تلو الأجيال، وهي كثيرة، منها:

حبُّ الصحابة الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر ذلك بصورة عمليَّة حينما حاصر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، وخلال هذا الموقف العصيب سارع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا حوله سياجًا بأجسادهم وسلاحهم، وبالغوا في الدفاع عنه، فقام أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع صدره ليقيه من سهام العدو، ويقول:" نحري دون نحرك يا رسول الله" رواه البخاري[٢].

وأبو دجانة يحمي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسهام تقع عليه ولا يتحرَّك.

وامتصَّ مالك بن سنان الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه. رواه الطبراني[٣].

وعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة من الجبل فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض عليه، فقال صلى الله عليه وسلم:" أوجب طلحة" أي الجنة. رواه أحمد والترمذي[٤].

وامرأة من بني دينار أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوهم لها قالتْ: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرًا يا أمَّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالتْ: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأتْه قالتْ: كلُّ مصيبةٍ بعدك جلل. أي صغيرة. رواه الطبراني[٥].

---

(١) ينظر لهذه الغزوة: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٧) برقم (٣٨١١) كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٤٣) برقم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٤٧) برقم (٩٠٩٨)

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣) برقم (١٤١٧). والترمذي في سننه (٤/ ٢٠١) برقم (١٦٩٢) أبواب الجهاد، باب ما جاء في الدرع. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٢٧).

(٥) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٤٩).

وهكذا سما حبُّ المسلمين الأوائل للرسول صلى الله عليه وسلم فوق كلِّ حبٍّ، إنَّه حبٌّ يعلو فوق حبِّ الآباء والأبناء والأزواج والأنفس، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[١].

فالإيمان لا يكتمل حتى يمتلئ قلب المسلم بحبِّ النبي صلى الله عليه وسلم، فهو القائل صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين" رواه البخاري[٢]. ويوم تمتلئ قلوب المسلمين بنحو هذا الحبِّ سينتصرون على أعدائهم مهما كانت العقبات.

ومن خلال غزوة أحد ظهر لنا أنَّ المعاصي من أهم أسباب الهزيمة وتخلُّف النصر عن الأمَّة، فبسبب معصية واحدة؛ ذهب النصر عن المسلمين بعد أن انعقدت أسبابه، ولاحت بوادره، ظهر هذا الدرس في مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، والذي قلب الموازين وأدَّى إلى الهزيمة، فالمسلمون انتصروا في بداية المعركة حينما امتثلوا أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم ينبغي أن يُعْلَم أنَّه وإن كان إعداد العُدَّة والعدد مطلبًا شرعيًّا، إلَّا أنَّ النصر والهزيمة لا يتوقَّفان عليهما، فبالمعاصي تدور الدوائر، فقد فاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب معصية، ومُحيت حضارات كثيرة بسبب الذنوب والمعاصي. فكيف ترجو أُمَّةٌ عصت ربَّها، وخالفتْ أمر نبيِّها، وتفرَّقت كلمتها أن يتنزَّل عليها نصر الله وتمكينه؟!

فالمعاصي سبب كلِّ عناءٍ، وطريق كلِّ شقاءٍ، ما حلَّت في ديار إلَّا أهلكتها، ولا فشت في مجتمعات إلَّا أشقتها، وهي من الأسباب الرئيسية للهزيمة في الحروب، ومن ثم ينبغي الحذر منها والبُعد عنها، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[٤].

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٥) كتاب الإيمان باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٤) كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.

(٣) آل عمران: ١٦٥.

(٤) الشورى: ٣٠.



ومن الدروس الهامة من معركة أحد خطورة إيثار الدنيا على الآخرة، وأنَّ ذلك مما يُفقِد الأمَّة عون الله ونصره وتأييده، قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: ما كنتُ أرى أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[١][٢].

وقال ابن عباس- رضي الله عنهما-: لما هزم اللهُ المشركين يوم أحد؛ قال الرماة: أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم"، وقال بعضهم: لا نبرح حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[٣][٤].

ومن الحِكم الباهرة من هذه الغزوة إشاعة قتْل النبي صلى الله عليه وسلم فيها، كي يتنبه المسلمون إلى الحقيقة التي ينبغي أن يُوطِّنوا أنفسهم عليها، وهي قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٥] ، فلا يرتدُّوا على أعقابهم أو يضعفوا ويتراجعوا، إذا وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختفى من بينهم، أو تُوفِّيَ أو قُتِل، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٦].

ولقد بان أثر هذا يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفعل، فكانت هذه الشائعة في يوم أحد وما نزل بسببها من القرآن، هي التي أيقظت المسلمين ونبَّهتهم، فودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها لهم فقاموا بها أقوياء أشداء.

ومن العِبر أيضًا؛ رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، فلو كان فظًّا غليظًا ما التفَّتْ حوله القلوب والمشاعر، فالناس في حاجة إلى رفق ورحمة، وقلب يشعر بهمومهم وآلامهم، ويشفق عليهم،

---

(١) آل عمران: ١٥٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٢٩٥). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) آل عمران: ١٥٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٢٩٥).

(٥) الزمر: ٣٠.

(٦) آل عمران: ١٤٤.

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يُعنِّف الرماة الذين خالفوا أمره، ولم يُخرجْهم من الصَّفِ، بل قابل ضعفهم وخطأهم برفق وحكمة وعفو، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١].

بل إنَّ رحمته صلى الله عليه وسلم شملت في هذه المعركة الكافرين والذين آذوه وأرادوا قتله، فقال- صلى الله عليه وسلم- وهو يمسح الدم عن وجهه بعد إصابته يوم أحد:" كيف يفلح قومٌ شجوا وجه نبيهم وكسروا رُباعيَّته وهو يدعوهم إلى الله، اللهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" رواه أحمد[٢].

فكان من نتيجة ذلك أنَّ أبا سفيان في أُحُد يقود المشركين، وشعاره: اعلُ هُبل، وفي فتح مكَّة يقول: لا إله إلَّا الله.

ووحشي يقتل حمزة في أُحُد، ثم يُسلِم ويَقتل مُدَّعي النبوة مسيلمة الكذَّاب بعد ذلك.

ومن خلال غزوة أحد يتَّضح أنَّ مبدأ الشورى مبدأ مهم في الإسلام، فقد استشار النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابه في قتال المشركين خارج المدينة أو داخلها، وأَخذ برأي الأغلبية.

وأيضًا لا بدَّ من الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية مع التوكُّل على الله والاعتماد عليه، فقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين، ولبس لأْمَة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشدَّ القتال، رغم أنَّ الله عصمه من القتل.

---

(١) آل عمران: ١٥٩

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ٤٥٧) برقم (١٤٠٧٣).

٢٧ ذي القعدة

غزوة تبوك

اشتملت هذه الغزوة المباركة[١] على دروس عظيمة؛ منها:

١- أنَّ الجهاد بالمال لا يقلُّ عن الجهاد بالنفس، قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

٢- في هذه الغزوة فضيلة لعثمان- رضي الله عنه- فقد أنفق إنفاقًا عظيمًا حتى قال صلى الله عليه وسلم:" مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" رواه الترمذي[٣].

٣- أنَّ فيها منقبة عظيمة لأبي بكر الصدِّيق وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة- رضي الله عنهم جميعًا- ممَّن شاركوا في الإنفاق على جيش العسرة، حيث تصدَّق أبو بكر بماله كلِّه، وعمر بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف أنفق ثمانية آلاف درهم- رضي الله عنهم-.

٤- أنَّ المنافقين دأبُهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، وقد ذمَّهم الله غاية الذم وفضح أمرهم؛ قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[٤].

٥- أنَّ كثيرًا من الآيات في سورة التوبة نزلت تعالج موضوع الغزوة المباركة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج في السفر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة، وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين والمخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين منهم في الغزوة، والمتخلِّفين، إلى غير ذلك من الأمور.

---

(١) ينظر لغزوة تبوك: صحيح البخاري (٦/ ٢)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٦٠).

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٤/ ٢٣١) برقم (٢٠٦٣٠). والترمذي في سننه (٥/ ٦٢٦) برقم (٣٧٠١) أبواب المناقب، باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧١٣).

(٤) التوبة: ٦٤-٦٦.

٦- فضل الصحابة وحرصهم على الإنفاق في سبيل الله وتنافسهم في ذلك، ولذلك جاء في الحديث:" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" رواه البخاري ومسلم(١).

٧- أنَّ مسجد الضرار الذي بناه المنافقون قبل غزوة تبوك كان مكيدة للإسلام والمسلمين، لا يُراد به إلَّا الإضرار بالمسلمين والكفر بالله، وقد فضحهم الله وأنزل فيهم قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾(٢). وكان نزول هذه الآيات عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، فلما نزلت هذه الآيات أمر بهدم المسجد.

٨- أنَّ فيها منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عندما خلفه رسول الله- صلى الله عليه وسلم عند النساء والصبيان وقال:" أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى" رواه البخاري ومسلم(٣).

٩- فيه الزجر والنهي عن السُّكنى في ديار المعذَّبين، والإسراع عند المرور على ديارهم.

١٠- ظهور بعض المعجزات والكرامات في هذه الغزوة، فمن ذلك عندما اشتدَّ بهم العطش حتَّى إنَّ الرجل لينحر البعير فيعصر فرثه فيشربه، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه فنزلت السحابة فأمطرتْ ولم تتجاوز العسكر. روى ابن حبَّان في صحيحه من حديث عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قيل لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ الْعُسْرَةِ، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨) برقم (٣٦٧٣) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧) برقم (٢٥٤١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) التوبة: ١٠٧، ١٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ 19) برقم (٣٧٠٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠) برقم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى نَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَدْ عَوَّدَكَ اللهُ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا، فَقَالَ: أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَيْه، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّتْ سَحَابَةٌ، فَسَكَبَتْ، فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ، فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ[١].

ومنها كذلك عندما أصابهم الجوع الشديد فنحروا النواضح، وأكلوا منها حتى قلَّ الظهر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل أزوادهم ودعا فيها بالبركة، فأكلوا جميعًا منها وحلَّت فيها البركة[٢].

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة أيضًا إخباره ببعض الأمور الغيبية، كقوله لمعاذ:" يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ؛ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا" رواه مسلم[٣].

١١- حُسْن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم وإجابته إلى ما يلتمس منه أصحابه، وإجراؤهم على العادة البشرية في الاحتياج إلى الزاد في السفر.

١٢- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من البشر لا يعلم من الغيب إلَّا ما علَّمه الله، ولهذا لما ضلَّت ناقته لم يعرف مكانها حتى دلَّه الله عليها، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن يأتي بها.

١٣- جواز ائتمام الفاضل بالمفضول، وقد حدث هذا عندما صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه- الركعة الأولى من صلاة الفجر، ثم أتمَّ الثانية وحدَهُ[٤].

١٤- فيها منقبة لأبي ذر- رضي الله عنه- عندما أبطأ به بعيره، فأخذ متاعه وحمله على ظهره، ثم خرج ماشيًا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق[٥].

١٥- فيها منقبة لأبي قتادة- رضي الله عنه-، وذلك بحرصه على حراسة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه صلى الله عليه وسلم له.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤/ ٢٢٣) برقم (١٣٨٣). والحديث ضعفه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٦٩). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٧/ ١٦٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٤) برقم (٧٠٦) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٠) برقم (٢٧٤) كتاب الطهارة باب المسح على الناصية والعمامة.

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٦٧)



١٦- أنَّ من نام عن صلاة أو نسيها؛ فكفارته أن يُصلِّيَها إذا ذكرها، وليس في النوم تفريط، كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة؛ عندما تأخَّر عن صلاة الفجر، وصلَّى خلف عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه-.

١٧- ما جرى لأبي خيثمة- رضي الله عنه- من ندمه على تخلُّفه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ثم استدراكه للأمر ووصوله إلى تبوك، وفيه بيان أنَّ المؤمن إذا وقع منه التقصير سرعان ما يتنبَّه ويستدرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [١].

١٨- أنَّ ساقي القوم آخرُهم شُربًا، لقول أبي قتادة- رضي الله عنه-: فشربتُ وشربَ رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

١٩- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحرَس كلَّ ليلةٍ من أصحابه خشية العدو.

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧٢) برقم (٦٨١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها.



٢٠- حرص النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بأصحابه؛ وذلك بقوله لهم:" أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ" رواه البخاري ومسلم(١)، وكذلك ينبغي للأمير والقائد التحذير من المخاطر والأضرار.

٢١- كانت غزوة تبوك شاقَّة في بدايتها، ولكن كانت عاقبتها حميدة؛ لما تحقَّق فيها من ظهور عِزَّة الإسلام، ودخول الرعب في قلوب الأعداء، وما حصل من مكاسب سياسية من عقود ومعاهدات، ومكاسب مالية، حصلت بالصلح والالتزام بدفع الجزية، فتحقَّق بذلك قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

٢٢- أنَّ المنافقين يكيدون المكائد والمؤامرات للفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله، ولا أدلَّ على ذلك ممَّا فعلوه بالعقبة حين همُّوا بطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، فنجَّاه الله منهم، وذلك يُوجب أخذ الحذر منهم والاحتياط لما يُتوقَّع من كيدهم.

٢٣- أنَّ فيها منقبة لحذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأسماء هؤلاء المنافقين الذين تآمروا على قتله واستكتمه ذلك.

٢٤- أنَّ الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم من قتْل هؤلاء المنافقين؛ هو خشية أن يتحدَّث الناس أنَّ مُحمَّدًا يقتل أصحابه، فتحصل بذلك مفسدة تُنفِّر الناس من الإسلام، وهذا من الأدلَّة للقاعدة المشهورة: درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلْب المصالح.

٢٥- مشروعية هجر أصحاب المعاصي؛ إذا كان الهجر يُؤدِّي إلى رجوعهم وفيه مصلحة. كما حدث مع الثلاثة الذين خُلِّفوا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة باعتزالهم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحُبتْ، وضاقتْ عليهم أنفسهم.

وهناك العديد والعديد من الدروس التي يضيق المقام والمقال عن حصرها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ 125) برقم (١٤٨١) كتاب الزكاة باب خرص الثمر. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٥) برقم (١٣٩٢) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) البقرة: ٢١٦.

٢٨ ذي القعدة

يأيُّها النَّاس أنتُمُ الفقراءُ إلى الله

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[1].

يقول العلَّامة السعدي في تفسيره القيِّم لهذه الآية الكريمة: يخاطب الله تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنَّهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إيَّاهم لم يُوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقُوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إيَّاهم بها؛ لما استعدوا لأيِّ عملٍ كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور؛ لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم؛ لاستمرَّت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.

فقراء إليه في تألُّهم له، وحبِّهم له، وتعبُّدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يُوفِّقهم لذلك؛ لهلكوا وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يُصلِحهم، فلولا تعليمه لم يتعلَّموا، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه بكل معنى وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفَّق منهم الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حالٍ من أمور دينه ودنياه، ويتضرَّع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يُعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامَّة من ربِّه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

{ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلْقه، ولا يفتقر إلى شيء ممَّا يفتقر إليه الخلْق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلُّها صفات كمال، ونعوت وجلال.

---

(١) فاطر: ١٥.



ومن غناه تعالى أنْ أغنى الخَلْقَ في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته وأسمائه، لأنَّها حُسنى، وأوصافه لكونها عُليا، وأفعاله لأنَّها فضْل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه، الغني في حمده(١).

وقال الإمام الزمخشري: فإن قلتَ: لمَ عرَّفَ الفقراء؟ قلتُ: قصد بذلك أن يُريهم أنَّهم لشدَّة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلُّهم مُفتقرين إليه من الناس وغيرهم؛ لأنَّ الفقر ممَّا يتبع الضعف، وكلَّما كان الفقير أضعف؛ كان أفقرَ، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾(٢)، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾(٣)، ولو نكر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء(٤).

وقال الإمام القرطبي: فإن قلتَ: قد قوبل الفقراء بـ (الغني)؛ فما فائدة (الحميد)؟ قلتُ: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كلُّ غنيٍّ نافعًا بغناه إلَّا إذا كان الغنيُّ جوادًا مُنعمًا، وإذا جاد وأنعم؛ حمده المنعِم عليهم واستحق عليهم الحمد، وذكر (الحميد) ليدلَّ به على أنَّه الغنيُّ النافع بغناه خلقه، الجواد المنعِم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه(٥).

وقال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: فإن قلتَ: كيف تجمع بين هذا وبين ثبوت الغنى لغير الله في الكتاب وفي السنة؟ قال الله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(٦)، وقال النبي- عليه الصلاة والسلام-:" تُؤخَذُ مِن أغنياءهم وتُردُّ على فقراءهم" رواه البخاري ومسلم، فثبت بالكتاب والسُّنَّة أنَّ البشر فيهم الغني، كيف؟ الجواب: أنَّ غنى البشر غنًى محدود نسبي قاصر قابل للزوال كما أنَّه كان حادثًا، أمَّا غنى الله فهو غنًى مطلق كامل أزلي أبدي(٧).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٧).

(٢) النساء: ٢٨.

(٣) الروم: ٥٤.

(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٦٠٦). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٧).

(٦) البقرة: ٢٧٣.

(٧) تفسير العثيمين – فاطر (ص ١٣٥). تفسير القرآن الكريم- سورة فاطر، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.



قال ابن القيم- رحمه الله-: أقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس؛ فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا ولا سببًا يتعلَّق به ولا وسيلة منه يمنُّ بها. بل يدخل على الله تعالى من ضرورته إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وكمال فاقته وفقره إليه، وأنَّ في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربِّه تبارك وتعالى، وأنَّه إن تخلَّى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تُجبَر، إلَّا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى[١]. أن لا ترى لنفسك مع ربِّك حالًا ولا مقامًا، ولا سببًا ولا شيئًا، وإنَّما تدخل على بابه سبحانه وأنت فقير، مسكين، ضعيف، مفلس، جاهل، ضائع، عاجز، ذليل، مُحتاج، مُتضرّع، ليس لك شيء، ولا بك شيء، ولا منك شيء. إن لم يرحمك مولاك هلكتَ، وإن لم يهدك ضللتَ، وإن لم يطعمك جُعتَ، وإن لم يحفظك اختُطفتَ، وإن لم يأخذ بيدك ضعتَ، وإن لم يُوفِّقك خُذِلتَ، وإن لم ينصرك هُزمتَ، وإن لم يثبتك فُتنتَ.

لما كثُر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والإصرار من الكفَّار، وقالوا: إنَّ الله لعلَّه يحتاج إلى عبادتنا حتَّى يأمرنا بها أمرًا بالغًا ويُهدِّدنا على تركها مُبالغًا، فقال تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾[٢]. فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم، وإنَّما هو لإشفاقه عليكم.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٣] ؛ هذا النداء عام للمؤمن والكافر، والبرِّ والفاجر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، الناس عمومًا. وصدَّرَ الله هذا الحكم بهذا الخطاب الذي هو النداء؛ لأجل التنبيه وبيان الاهتمام به.

وفي الحقيقة أنَّه قد يُقال: كلُّ أحدٍ يعلم أنَّه فقيرٌ إلى الله، لكن هل نحن عملنا بمقتضى هذا العلم؟ لا، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٤] ، فقرَّر الله تعالى هذه الحال الثابتة التي لا ينفكُّ عنها إنسان- وهي الفقر إلى الله- من أجل أن يعمل بمقتضى هذه الحال، فيرجع إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا يسأل إلَّا الله.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) فاطر ١٥.

(٤) العلق: ٦، ٧.



﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ لما كان الإنسان هو الذي قد يرى نفسه مُستغنيًا عن الله؛ حصر الفقر فيه كأنَّه يقول: إن لم يكن أحدٌ فقيرًا إلى الله؛ فأنتم فقراء ولا بدَّ، وإذا كان الإنسان العاقل المدبِّر لنفسه فقيرًا إلى الله؛ فما بالك بالبهيمة، أليستْ أشدَّ فقرًا؟! بلى هي أشدُّ فقرًا إلى الله عزَّ وجلَّ من الإنسان، لكنه خاطب الإنسان بذلك؛ لأنَّه هو الذي يرى أنَّه قد استغنى عن الله، وأنَّه غنيٌّ عن الله.

بل إنَّ بعض بني آدم عكس القضية، فقال والعياذ بالله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [١]، فعكس القضية والواقع الذي تشهد به الفطرة.

وقد نظم الإمام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- القصيدة التائية في الافتقار إلى الله، فقال:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي

أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي

لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ

وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي

إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ

وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ

وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي

وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِ

فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي [٢]

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٤). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.



٢٩ ذي القعدة

شفاعة النبِيّ صلى الله عليه وسلم

لقد دلَّت الأحاديث النبوية الصحيحة على أنَّ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة، منها ما يشترك فيها غيره معه، ومنها ما هو خاص به- عليه الصلاة والسلام-.

أنواع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

١- الشفاعة العظمى الكبرى: وهي من خصائصه، التي أخبر الله تعالى عنها بأنها المقام المحمود، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١]، حين يأتي البشر الأنبياء نبيًّا نبيًّا؛ لشفعوا لهم، إلى أن يأتوا النبي محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فيشفع لهم؛ وهي شفاعته- عليه الصلاة والسلام- لجميع الخلائق عند الله تعالى؛ ليبدأ الحساب، ويستريح الناس من طول الوقوف يوم القيامة؛ فعن ابْنَ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ:" إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ" رواه البخاري[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ؛ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 86) برقم (٤٧١٨) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} [الإسراء: ٧٩].



قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا؛ لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ" رواه البخاري ومسلم(١).

٢- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة بدخول الجنة، فلا يدخلها أهلها إلّا بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" رواه مسلم(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 84) برقم (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} [الإسراء: ٣]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤) برقم (١٩٤) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٧) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».



٣- شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة من أُمَّته؛ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة، فعنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ- رضيَ اللهُ عنه- عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ:" لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي، يُسَمَّوْنَ (جَهَنَّمِيُّونَ)" رواه الترمذي(١).

وفي رواية البخاري:" يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضيَ اللهُ عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ" رواه البخاري ومسلم(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضيَ اللهُ عنه- عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي" رواه أبو داود(٤).

٤- شفاعته صلى الله عليه وسلم لقومٍ من أُمَّته؛ ليدخلوا الجنة من غير حساب ولا عذاب، ففي حديث أبي سعيد الخدري- رضيَ اللهُ عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ" رواه البخاري ومسلم(٥).

٥- شفاعته صلى الله عليه وسلم لجميع المؤمنين بدخول الجنة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضيَ اللهُ عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٧١٥) برقم (٢٦٠٠) أبواب صفة جهنم باب منه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٦) برقم (٦٥٦٦) كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ 67) برقم (٦٣٠٤) كتاب الدعوات باب: لكل نبي دعوة مستجابة. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٨) كتاب الإيمان باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٤٣٩) برقم (١٣٢٢٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٦) برقم (٤٧٣٩) كتاب السنة باب في الشفاعة. والترمذي في سننه (٤/ ٦٢٥) برقم (٢٤٣٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلمباب منه. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٥٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 84) برقم (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} [الإسراء: ٣]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤) برقم (١٩٤) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.



تَبعًا"[١] وفي رواية قال:" أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ" رواه مسلم[٢].

٦- شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعض أهل النار أن يُخفَّف عنهم من عذابها، ومن ذلك شفاعته- صلى الله عليه وسلم- لعمِّه أبي طالبٍ؛ ليُخفَّف عنه من عذاب جهنم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أبو طالبٍ، فَقَالَ:" لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ" رواه البخاري ومسلم[٣].

٧- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات المؤمنين في الجنة، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ- رضيَ اللهُ عنها- قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ:" اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ،، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ" رواه مسلم[٤].

هذا وأحقُّ الناس بشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؛ أهل التوحيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ:" لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ" رواه البخاري[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٦) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٦) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ 52) برقم (٣٨٨٥) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٥) برقم (٢١٠) كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٤) برقم (٩٢٠) كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ 31) برقم (٩٩) كتاب العلم باب الحرص على الحديث.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضِيَ اللهُ عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" رواه البخاري ومسلم(١).

وعن جابرِ بنِ عَبدِ الله- رَضِيَ الله عنه- أيضًا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبلي: نُصِرْتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهرٍ، وجُعِلَت لي الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا، فأيُّما رَجُلٍ من أمَّتي أدرَكَته الصَّلَاةُ فليُصَلِّ، وأحِلَّتْ لي المغانِمُ ولَم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً، وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً" رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن أبي هُريرةَ- رَضِيَ الله عنه- أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَّم قال:" لَا يَصبِرُ على لَأْواءِ المدِينةِ وشِدَّتِها أحَدٌ من أمَّتي إلَّا كُنتُ له شَفيعًا يومَ القيامةِ أو شَهيدًا" رواه مسلم(٣).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا" رواه الترمذي وابن ماجه(٤).

والخلاصة: ما قاله الإمام ابنُ القَيِّمِ- رحمه الله- بَعدَ أن ذَكَرَ أحاديثَ كثيرةً في الشَّفاعةِ: فقد تَضَمَّنَت هذه الأحاديثُ خَمسةَ أنواعٍ من الشَّفاعةِ:

أحَدُها: الشَّفاعةُ العامَّةُ التي يَرغَبُ فيها النَّاسُ إلى الأنبياءِ نَبيًّا بَعدَ نَبيٍّ حَتَّى يُريحَهمُ اللهُ من مَقامِهم.

النَّوعُ الثَّاني: الشَّفاعةُ في فتْحِ الجَنةِ لأهلِها.

النَّوعُ الثَّالِثُ: الشَّفاعةُ في دُخولِ مَن لا حِسابَ عليهمُ الجَنةَ.

النَّوعُ الرَّابعُ: الشَّفاعةُ في إخراجِ قَومٍ من أهلِ التَّوحيدِ من النَّارِ.

النَّوعُ الخامِسُ: في تَخفيفِ العَذابِ عن بَعضِ أهلِ النَّارِ(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ 126) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ 74) برقم (٣٣٥) كتاب التيمم. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٤) برقم (١٣٧٨) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٣٢٠) برقم (٥٤٣٧). والترمذي في سننه (٥/ ٧١٩) برقم (٣٩١٧) أبواب المناقب باب ما جاء في فضل المدينة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٣٩) برقم (٣١١٢) كتاب المناسك باب فضل المدينة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٢٠١).

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٥٥). حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٥.



٣٠ ذي القعدة

يعرفون نعمت الله ثم يُنكرونها

يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم في سورة النحل المعروفة بين العلماء بسورة النعم: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١). حيث ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره عن مجاهد: أنَّ سبب نزول هذه الآية الكريمة: أنَّ أعرابيًّا أتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾(٢)، فقال الأعرابي: نعم، قال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾(٣). قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه، كلُّ ذلك يقول الأعرابي: نعم، حتى بلغ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾(٤)، فولَّى الأعرابي. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾(٥).

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ) قال السُّدِّي: يعني محمَّدًا- صلى الله عليه وسلم-، أي يعرفون نبوَّته (ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) ويُكذِّبونه.

وقال مجاهد: يريد ما عدَّد الله عليهم في هذه السورة من النعم؛ أي يعرفون أنَّها من عند الله، وينكرونها بقولهم: إنَّهم ورثوا ذلك عن آبائهم. وبمثله قال قتادة.

وقال عَوْن بن عبد الله: هو قول الرجل: لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان ما أصبتُ كذا، وهم يعرفون النفع والضر من عند الله.

وقال الكَلْبِيّ: هو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرَّفهم بهذه النعم كلِّها عرفوها وقالوا: نَعم، هي كلُّها نِعم من الله، ولكنَّها بشفاعة آلهتنا.

وقيل: يعرفون نعمة الله بتقلُّبهم فيها، وينكرونها بترْك الشكر عليها.

ويحتمل سادسًا يعرفونها في الشدَّة، وينكرونها في الرخاء.

ويحتمل سابعًا يعرفونها بأقوالهم، وينكرونها بأفعالهم.

---

(١) النحل: ٨٣.

(٢) النحل: ٨٠.

(٣) النحل: ٨٠.

(٤) النحل: ٨١.

(٥) النحل: ٨٣.



ويحتمل ثامنًا يعرفونها بقلوبهم، ويجحدونها بألسنتهم؛ نظيرها ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[(١)(٢)].

(وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ) قال بعض العلماء: معناه أنَّهم كلَّهم كافرون. أطلق الأكثر وأراد الكلَّ. قاله القرطبي والشوكاني. وقال الشوكاني: أو أراد بالأكثر العقلاء دون الأطفال ونحوهم. أو أراد كفر الجحود، ولم يكن كفر كلِّهم كذلك، بل كان كفرُ بعضِهم كفرَ جهلٍ[(٣)].

وعن مجاهد أيضًا (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال: هي المساكن والأنعام وما يُرزَقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كُفَّارُ قريش ثم تُنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إيَّاه[(٤)]. وقال آخرون: معنى ذلك أنَّ الكفَّار إذا قيل لهم: مَن رزقكم؟ أقرُّوا بأنَّ الله هو الذي يَرزقهم ثم يُنكرونه بقولهم: رُزِقنا ذلك بشفاعة آلهتنا[(٥)].

وذكر الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: قوله تعالى: (يعرفون نعمة الله) أي: يدركون بحواسِّهم أنَّ النعمة من عند الله[(٦)].

وقد بيَّن جلَّ وعلا: أنَّ بعثة نبيِّه صلى الله عليه وسلم فيهم من منن الله عليهم. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(٧)]. وبيَّن في موضع آخر: أنَّهم قابلوا هذه النعمة بالكفران. وذلك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[(٨)].

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٢). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٧٣).

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٩). فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٧٨٤). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ.

(٧) آل عمران: ١٦٤.

(٨) إبراهيم: ٢٨.



قوله: (نعمة الله) واحدة والمراد بها الجمع، فهي ليست واحدة، بل هي لا تُحصَى، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١)، والقاعدة الأصوليَّة: أنَّ المفرد المضاف يَعُمُّ، والنعمة تكون بجلب المحبوبات، وتُطلَق أحيانًا على رفْع المكروهات(٢).

قوله: (ثم ينكرونها) أي: ينكرون إضافتها إلى الله؛ لكونهم يُضيفونها إلى السبب، مُتناسين المسبِّب الذي هو الله سبحانه، وليس المعنى أنَّهم ينكرون هذه النعمة، مثل أن يقولوا: ما جاءنا مطرٌ أو ولدٌ أو صحَّةٌ، ولكن ينكرونها بإضافتها إلى غير الله، مُتناسين الذي خلق السبب، فوُجِدَ به المسبَّب.

إنَّ أكثر الناس يعرفون نعمة الله تعالى ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون الجاحدون، لأنَّهم يعرفون نعم الله تعالى عليهم لكنَّهم يكفرونها، ومع ذلك لم يأمر الله تعالى الرسل إلَّا بالبلاغ والإنذار، والحكم على العباد لا يكون إلَّا للخالق سبحانه.

ونُقل عن بعض السلف: هو كقولهم: (كانت الريح طيبة والملَّاح حاذقًا) ونحو ذلك ممَّا هو جارٍ على ألسنة كثيرة(٣).

قوله:"كانت الريح طيبة". هذا في السفن الشراعية التي تجري بالريح، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾(٤) ، فكانوا إذا طاب سير السفينة قالوا: كانت الريح طيبة، وكان الملَّاح- وهو قائد السفينة- حاذقًا، أي: مُجيدًا للقيادة، فيضيفون الشيء إلى سببه وينسون الخالق جلَّ وعلا.

والخلاصة: أنَّ على المسلم دائمًا وأبدًا ألَّا ينسى فضْل الله، وألَّا ينسب النعم إلى أسبابه وآبائه وينسى المنعِم جلَّ وعلا، كلُّ شيءٍ منه بفضله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾(٥)، فالواجب شكر الله وعدم نسيانه، ولا مانع من ذكر الأسباب.

وختامًا؛ نرفع أيدينا إلى الله سبحانه وتعالى قائلين:

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٧٨٤).

(٣) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٠).

(٤) يونس: ٢٢.

(٥) النحل: ٥٣.

فيا ربِّ عفوك لا تأخذْ بزلَّتِنا ... وارحمْ أيا ربِّ ذنبًا قد جنيناهُ

كم نطلبُ اللهَ في كلِّ ضُرٍ يَحلُّ بنا ... فإنْ تَولَّتْ بلايانا نسيناهُ

ندعوه في البحرِ أن يُنجي سفينتَنا ... فإنْ رجعنا إلى الشاطئ عصيناهُ

ونركـــبُ الجـــوَّ في أمنٍ وفي دعـةٍ ... فما سقَطنا لأنَّ الحـــافظَ اللهُ[١]

---

(١) ينظر موقع الألوكة:
-٨٦%٩D%٨٨%٩D%٨١%٩D%١B%٨D%٩B%٨A%D٨%٩/%D١٣٦٦٠٧/٠https://www.alukah.net/sharia/
-٨٥%٩AB%D%٨-%D٨٧%٩D%٨٤%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨-%D٩A%٨D%٨٥%٩D%٩B%٨D%٨٦%٩%D
-٧A%٨D%٨٧%٩D%٨٦%٩D%٨٨%٩D%١B%٨D%٨٣%٩D%٨٦%٩A%D٨%٩%D
./٩A%٨D%٨A%٨D%٧B%٨AE%D%٨%D



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمبر 2017 م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من 300 مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي 2016 – "The Routledge International Handbook of Medical Education" – الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر 2014م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE 2014 الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.


تم بحمد الله